مجلة العلوم الشرعية، جامعة القصيم، المجلد (٣)، العدد (١)، ص ص ١١٧-١٦٣ (يناير ٢٠١٠م / محرم ١٤٣١هـ .)

أهداف الاستقامة الخلقية في الإسلام

إبراهيم بن عبد الله الدويِّش
الأستاذ المساعد للحديث والسنة النبوية في كلية العلوم والآداب، جامعة القصيم
المملكة العربية السعودية، القصيم، الرس، ص. ب. ١٠٣٤
فاكس: ٠٠٩٦٦٦٣٣٩١١٦٥، *aldwayish3@gmail.com*

(قدم للنشر ١٤٣٠/٤/٣هـ؛ وقبل للنشر ١٤٣٠/١١/٢٨هـ)

ملخص البحث. لا يختلف العقلاء أن الأخلاق هي قوام الحياة وروحها، وأن صرح الحياة لا يبقى شامخًا إلا بقدر التمسك بالاستقامة الخلقية والالتزام بها.

وإذا أردنا حلاً ناجعًا وجذريًّا لما يشهده العالم من أزمات متتالية على مستوى الأسباب فعلينا معالجة ما أصاب صرح القيم الخلقية من أدواء وأمراض.

فأزمة العالم اليوم أزمة أخلاق بالدرجة الأولى، ولكن عندما ننظر في الجهود المبذولة في هذا الباب نجدها ضئيلة لا ترتقي إلى مستوى المشكلات، ومن هنا جاء هذا البحث ليكون إسهامًا متواضعًا في هذا الجانب، وليبين أهداف الاستقامة الخلقية في الإسلام المستمدة من نصوص القرآن والسنة، والتي تميزت عن أهداف الاستقامة الخلقية في النظم الوضعية بميزات جمة.

ولا بد من نشر هذه الأهداف وبيان ثمراتها، وتفعيلها علميًّا وإعلاميًّا وبكافة الوسائل لتذكير الناس بها، لعلها أن تُذكي في النفوس التحلي بالأخلاق الفاضلة، إما طلبًا لأجرها وثوابها، أو طمعًا في منافعها ومكاسبها الدنيوية، فإن مجرد تفعيلها والتحلي بها فيه من منافع ومصالح كثيرة للمجتمع وتقدمه وحضارته .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واتبع سنته إلى يوم الدين.

وبعد: فالقيم الخلقية هي بمثابة العمود الفقري في أي قانون ونظام وشريعة وحضارة. والالتزام بها دليل على تقدم الشعوب، ورمز لرقيها في سلم الحضارة. ووسيلة فعالة وفن مهم لكسب القلوب والمعاملة الحسنة والعشرة الطيبة مع الناس، وما من نظام وشريعة ودستور في الحياة – سواء كانت إلهيَّة أو وضعيّة – إلا ولها رصيد من القيم الخلقية والالتزام بها، وإن اختلفت نسب تلك القيم الخلقية من نظام إلى آخر تبعًا لطبيعة النظام ومصدره وواضعيه وغير ذلك من الاعتبارات، وبقدر هذه الالتزامات الأخلاقية يكون نجاح النظام أو فشله.

والمتأمل في واقع الناس اليوم ومعاملاتهم لبعضهم يجد الحاجة ماسة لتذكيرهم بالنصوص الواردة في الأخلاق الحسنة، وأنها ليست مجرد حلية وزينة، بل هي مع ذلك عبادة وقربة، ولها أهداف عظيمة يغفل عنها بعض النخب وأهل الفضل والعلم فضلاً عن عامة الناس، ولا تكاد دراسة أو بحث عن المجتمع وواقع الناس اليوم إلا وتُصدر توصياتها بأهمية التذكير بالقيم الخلقية، والمطالبة بتفعيل ذلك عمليًّا عبر كل الوسائل والبرامج الممكنة، ولذا كان اختياري لهذا الموضوع.

منهج البحث

يتلخص منهج البحث في التالي:

- أعتمد في ذكر أهداف الاستقامة الخلقية في الإسلام على القرآن والسنة؛ إذ هما المنبع الأصيل لها؛ ولذا اجتهدت في البحث عن النصوص التي جاء فيها ذكر لهذه الأهداف، وقد بلغ عدد النصوص الواردة في البحث سبعة وثلاثين ومائة نص، ما بين آية وحديث وأثر.
- لم أستقصِ أهداف الاستقامة الخلقية الواردة في نصوص الكتاب والسنة كلها، بل اكتفيت ببيان أشهر وأبرز الأهداف حسب حاجة المجتمع والواقع لها.
- أذكر الأهداف تحت الأرقام متسلسلة، فأذكر الهدف أولاً، ثم أذكر أدلته من الكتاب أو السنة أو منهما.
- أوضح محل الشاهد من الدليل إن كان يحتاج إلى توضيح، وإلا أكتفي بسرد الأدلة.
- أذكر الآيات المستشهد بها مع شيء من تفسيرها عند الحاجة، وأعزوها إلى مواضعها في القرآن الكريم بذكر اسم السورة ورقم الآية في الهامش.

- أُخرّج الأحاديث والآثار الواردة في البحث، ناقلاً أقوال أهل الشأن في جانب التصحيح والتضعيف، وأحرص على ألا أذكر إلا الأحاديث الصحيحة أو الصالحة للاستدلال، وإن ذكرت حديثًا ضعيفًا للاستئناس فأذكره بصيغة التمريض. وأكتفي بالعزو للصحيحين أو لأحدهما مادام الحديث أو الأثر فيهما أو في أحدهما، فإن لم يكن فيهما أو في أحدهما خرجته من مسند أحمد ثم من السنن الأربعة، ثم من غيرها من دواوين السنة حسب تاريخ وفيات مؤلفيها.
- أنقل من كلام العلماء ما يناسب المقام مع وضعه بين علامتي تنصيص إن كان النقل حرفيًا، وإن كان بتصرف لا أضعه بين علامتي التنصيص بل أكتفي بإحالته إلى مصدره في الحاشية مصدرًا الإحالة بقولي: انظر.
- أُترجم للأعلام غير المشهورين الوارد ذكرهم في البحث باختصار.
- أبين معاني الكلمات الغربية في أول موضع ورودها، وأعتمد في ذلك على كتب اللغة والغريب.
- اجتهدت بربط البحث ونصوصه ومعانيها وتوصياته بالواقع المعاش اليوم وحاجة المجتمع.

خطة البحث

قد اشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد، وفصل، وخاتمة، وفهرس:

فالمقدمة في سبب اختيار الموضوع ومنهج البحث وخطته.

والتمهيد في بيان الأهمية ومصدر الأخلاق في الإسلام، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: في بيان أهمية الاستقامة الخلقية في الإسلام.

والمطلب الثاني: في بيان الفرق بين الإسلام والنظم الوضعية في باب الأخلاق.

والفصل فيه بيان أهداف الاستقامة الخلقية في الإسلام.

والخاتمة فيها أهم النتائج والتوصيات.

وأخيراً فهرس المراجع

التمهيد: بيان أهمية الأخلاق ومصدره في الإسلام

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان أهمية الاستقامة الخلقية في الإسلام

لا يختلف العقلاء على أهمية القيم الخلقية، ودورها المفصلي في الحياة، والتاريخ شاهد صدق على أنه ما من أمة رائدة تأخرت وتقهقرت، وما من حضارة بادت، وما من دولة سقطت، وما من نظامٍ وفكرٍ انهار وزال عن مسرح الحياة، إلا كان السبب الرئيس في ذلك هو فقدهم لعنصر الأخلاق، وإفلاسهم فيها، فمن يطلع ويدرس أسباب سقوط الحضارات - كالرومانية واليونانية والشيوعية الماركسية وغيرها من الحضارات البائدة التي سادت في العالم فترةً من فترات التاريخ - يعرف صدق هذا القول.

ولماذا نذهب بعيدًا، فها نحن نشاهد بأم أعيننا الرأسمالية الربحية الربوية الجشعة القائمة على الطبقية واستعباد الضعفاء واستغلالهم بشتى الوسائل تترنح وتتهاوى عروشها وينهار بنيانها على مرأى ومسمع من قادة العالم ورجالاتهم، وهم لا يملكون من الأمر شيئًا إلا بمحاولات إنقاذ لما يمكن إنقاذه، وكلنا قرأ وسمع عن بنوك كانت بمثابة الأب الروحي للنظام الرأسمالي، وتدير عشرات التريليونات تكبدت خسائر فادحة وأعلنت إفلاسها وانهيارها..، وبالتأمل يتبين أن غياب عنصر الأخلاق كان وراء هذا السقوط والانهيار؟! صدق الله إذ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾(١). وصدق من قال:

إِنَّمَا الأُمَمُ الأَخْلاَقُ مَا بَقِيَتْ فَإِنْ هُمُوا ذَهَبَتْ أَخْلاَقُهُمْ ذَهَبُوْا
كَذَا النَّاسُ بِالأخلاقِ يبقَى صلاحُهُم ويذهبُ عنهم أمرهُم حين تذهَبُ(٢)

وقال أيضًا:

وَلَيْسَ بِعَامِرٍ بُنْيَانَ قَوْمٍ إِذَا أَخْلاَقُهُم كَانَتْ خَرَابًا(٣)

المطلب الثاني: بيان الفرق بين الإسلام والنظم الوضعية في باب الأخلاق

هناك فرق جوهري بين الإسلام والنظم الوضعية في باب الأخلاق، وذلك أن أهداف التحلي بالأخلاق الحسنة في الإسلام أهداف نبيلة وغايات شريفة، تبعث في النفس المسلمة حرارة الحرص على التخلق والتحلي بها، وهي مستمدة من نصوص الكتاب والسنة، ومنبثقة من مقررات الإسلام في شأن الإنسان والكون والحياة.

---

(١) سورة يونس: [٨١].

(٢) البيتان لأمير الشعراء أحمد شوقي. (انظر: الشوقيات ١/١٤- ٤٤).

(٣) البيت لأمير الشعراء أحمد شوقي (انظر: الشوقيات، ١/٦٥)، من قصيدة له بعنوان: (المنفى) ومطلعها:

أنادي الرسم لو ملك الجوابا وأجزيه بدمعي لو أثابا

فالأخلاق الحسنة في الإسلام مصدرها الوحي المنزه عن الخطأ والزيغ ؛ ولذلك فهي قيم ثابتة ومثل عليا تستهدف الإنسان باعتباره إنسانًا ، وهي في الأصل لا تتغير حسب الأهواء والأمزجة والمصالح.. ولا بتغير الزمان والمكان والأشخاص.. ، إلا في حالات طارئة لتحقيق مصالح شرعية راجحة ، ومثال ذلك : الصدق ، فهو فضيلة ، وخلق ثابت لا يتغير بتغير الأهواء والمصالح والزمان والمكان.. ، إلا في حالات استثنائية نادرة تترتب على مراعاته مفسدة غالبة على مصلحته ، فحينئذ تترك هذه المصلحة درءًا للمفسدة الكبرى ، فالصدق مع من يريدك أن تدله على شخص بريء يريد قتله لا يجوز ، ويصير الكذب واجبًا عليك- والحال هذه- حقنًا للدم البريء ، ودرءًا للمفسدة الكبرى ، وهكذا فليقس غيره عليه ، وهذا من أروع سمات أخلاق الإسلام ، فهي تستهدف الإنسان من حيث هو إنسان ، وتدور مع مصلحته الشرعية حيث دارت.

كما أن الإسلام يهدف من وراء تشريعاته وخاصة الأخلاق تكوين إنسان صالح ومصلح ، يراعي حاجات جسده ومتطلبات روحه ، ويوازن بينهما دون أن يطغى جانب على جانب ، فيسعد في الدنيا والآخرة ، وينفع نفسه والعالم كله ، تأمل هذا الحديث الذي يغفل عنه الناس كثيرًا مع أنه أصل في الأخلاق وفن التعامل ، قال رسول الله ﷺ موصيًا معاذ بن جبل ﵁ : ((اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ))[٤]. فأمر ﷺ أن نعاشر الناس كل الناس بِخُلُقٍ حسنٍ بغضِّ النظر عن جنسه ولونه ودينه.. ، ثم إن فيه ثلاث قواعد ذهبية في فن التعامل ، حيث لا يخرج التعامل عمومًا عن هذه الثلاثة : التعامل مع الخالق ، والتعامل مع النفس ، والتعامل مع المخلوق ، وقد وضع ﷺ في هذا الحديث أسسًا رئيسة للتعامل معها ، فتأمل.

بينما النظم الوضعية — وإن كانت تشارك الإسلام في بعض ما ذُكر من مميزات للأخلاق — إلا أنها تنطلق في سنّ قوانينها ودساتيرها وقيمها الخلقية – غالبًا – من مصلحة مادية دنيوية بحتة ، وأن هدفها الأكبر وغايتها العظمى من وراء هذه النظم والقوانين والقيم الخلقية هي تكوين مواطن ينفع شعبه وأمته حتى ولو كانت هذه المنفعة على حساب منافع الآخرين وحقوقهم ، ولذا فإن أيَّ خُلُقٍ يعارض هذا المقصد فهو معرَّض للتبديل والتغيير.. ؛ ولهذا فهم باستمرار يغيرون ويعدلون ويبدلون.. ، فما يكون خلقًا حسنًا يُكافَأُ عليه المرء اليوم ربما لا يكون خلقًا حسنًا غدًا ! !وقد يتحول إلى جريمة يعاقِب عليها القانون ! ! والعكس صحيح أيضًا ، وما يراه التزامًا أخلاقيًّا في حق أبناء وطنه أو جنسه قد لا يراه التزامًا أخلاقيًّا تجاه شعب آخر أو جنس آخر ، وهكذا ! !

---

[٤] رواه أحمد (٥/١٥٣، و١٥٨، و١٧٧، و٢٣٦). والترمذيّ كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة النساء (ح: ١٩٨٧). وقال: حسن صحيح. وابن أبي شيبة في (مصنفه، ح: ٥٣٧٦). والدارمي في الرقاق، باب في حسن الخلق (ح: ٢٧٩٤). والطبراني في (الكبير، ٢٠/ ح: ٢٩٥، و٢٩٦، و٢٩٧، و٢٩٨). والحاكم (١/٥٤). وأبو نعيم في الحلية (٤/٣٣٦). والقضاعي في مسند الشهاب (ح: ٦٥٢). وصححه الحاكم. وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (ح: ١٦١٨).

فصل في بيان أهداف الاستقامة الخلقية في الإسلام

للاستقامة الخلقية في الإسلام أهداف كبيرة سامية ، وغايات شريفة نبيلة ، تُحقق فوائد جمة للإنسان في دينه ودنياه وآخرته ، وهذه أبرز وأشهر الأهداف مع أدلتها من الكتاب والسنة :

١ – من أهداف الاستقامة الخلقية في الإسلام : الحرص على كسب رضا الله – سبحانه – ومحبته وجنته ، والنجاة من مقته وغضبه وعذابه : وهذا هدف مهم وأساس للالتزام بالأخلاق ؛ إذ غاية المسلم الكبرى في الحياة هي نيل رضا الله ومحبته له أولاً وقبل كل شيء ، وهناك نصوص جمة تشير إلى أن الله يحب مكارم الأخلاق والمتخلقين بها ، ويكره مساوئ الأخلاق والمتصفين بها ؛ قال الله تعالى ﴿ **وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ** ﴾(٥).

قال الشنقيطي : " وقد دلت هذه الآية على أن كظم الغيظ والعفو عن الناس ، من صفات أهل الجنة ، وكفى بذلك حثًّا على ذلك. ودلت أيضًا : على أن ذلك من الإحسان الذي يحب الله المتصفين به "(٦).

وقال سبحانه : ﴿ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾(٧) . وقال جلَّ شأنه : ﴿ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴾(٨).

وفي الحديث : ((إنَّ الله يحبُّ معالي الأخلاقِ، ويُبغضُ سَفْسَافَهَا(٩)))(١٠).

وقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ لِأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ(١١) : ((إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ : الْحِلْمُ ، وَالْأَنَاةُ))(١٢).

---

(٥) سورة آل عمران : [١٣٣ – ١٣٤].

(٦) أضواء البيان (٤٨٧/٥).

(٧) سورة البقرة : [١٩٥].

(٨) سورة لقمان : [١٨].

(٩) السفْساف: الأمرُ الحقيرُ والرديء من كل شيء، وهو ضدّ المعالِي والمكارِم. وأصله ما يطير من غُبار الدقيق إذا نُخِل والترابِ إذا أثير. (النهاية، مادة: سفسف، ٩٤٣/٢).

(١٠) أخرجه الخرائطي في (مكارم الأخلاق ، ح: ٣) . والطبراني في (الكبير ، ١٨١/٦). وفي (الأوسط، ٤٤٩/٣). وأبو نعيم في (الحلية، ٢٥٥/٣و١٣٣/٨). والسلفي في (معجم السفر، ص: ٧٧). وابن حبان في (روضة العقلاء، ص:١٦). والحاكم (٤٨/١). وقال: صحيح الإسناد. ورواه البيهقي في (الكبرى، ١٩١/١٠). وفي (الشعب، ح: ٧٦٤٦، و٧٦٤٧، ٧٦٤٨). وذكره الهيثمي في (المجمع، ١٨٨/٨) وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط، ورجال الكبير ثقات". وقال الحافظ العراقي في (تخريج أحاديث الإحياء، ٢٥٩/٣): "..وإسناده صحيح". وصححه الألباني في (الصحيحة، ح: ١٣٧٨).

(١١) هو: الْمُنْذِر بْن عَائِذ بن الحارث بن المنذر العصري، على قول الأكثرين وعلى ما صححه النووي. انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٢٢٢/١)، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٤١٠/٣).

(١٢) رواه مسلم في الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين... (ح: ١٨).

وقال ﷺ : ((إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ))(١٣).

وقال ﷺ : ((أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ – تَعَالَى – أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ ، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ – تَعَالَى – سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً ، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا ، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا ، وَلأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ – يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ – شَهْرًا ، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلأَ اللَّهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الأَقْدَامُ ، وَإِنَّ سُوءَ الخلقِ يُفْسِدُ العملَ كما يُفسدُ الخلُّ العسلَ))(١٤).

وَلِلْبُخَارِيِّ فِي الْأَدَب الْمُفْرَد وَابْن حِبَّان وَالْحَاكِم وَالطَّبَرَانِيِّ مِنْ حَدِيث أُسَامَة بْن شَرِيك(١٥) قَالُوا : يَا رَسُول اللَّه مَنْ أَحَبُّ عِبَاد اللَّه إِلَى اللَّه ؟ قَالَ : ((أَحْسَنهمْ خُلُقًا))(١٦). وَفِي رِوَايَة عَنْهُ : مَا خَيْر مَا أُعْطِيَ الْإِنْسَان؟ قَالَ : ((خُلُقٌ حَسَنٌ))(١٧). وقال ﷺ : ((مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ))(١٨).

وعَنْ عَائِشَةَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا – عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : ((إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَلَدُّ الْخَصِمُ))(١٩).

قَالَ مُحَمَّد بْن كَعْب(٢٠) –رحمه الله– : " الْأَلَدّ : الْكَذَّاب"(٢١).

وقال الحافظ ابن حجر : " وَكَأَنَّهُ أَرَادَ أَنَّ مَنْ يُكْثِر الْمُخَاصَمَة يَقَع فِي الْكَذِب كَثِيرًا "(٢٢).

---

(١٣) رواه مسلم في الزهد، (ح: ٢٩٦٥).

(١٤) رواه ابن أبي الدنيا في (قضاء الحوائج، ص٤٠ح: ٣٦). والطبراني في (الكبير، ٤٥٣/١٢). وفي (الأوسط، ح: ٦٠٢٦). وفي (الصغير،٣٥/٢). وذكره المنذري في (الترغيب والترهيب، ٢٥١/٤) وعزاه إلى الأصبهاني وابن أبي الدنيا. وحسنه الألباني في صحيح الجامع (ح: ١٧٦). وفي (الصحيحة، ح: ٩٠٦).

(١٥) هو: أسامة بن شريك الذبياني الثعلبي، من بني ثعلبة بن يربوع، وقيل: من بني ثعلبة بن بكر. صحابي ؓ. روى حديثه أصحاب السنن وأحمد وابن خزيمة وابن حبان والحاكم. (انظر: الإصابة ٣١/١، وأسد الغابة ٨١/١ ، وتهذيب التهذيب ٢١٠/١).

(١٦) رواه أحمد (٢٧٨/٤). وابن ماجه في الأشربة، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء (ح: ٣٤٣٦). وهناد في (الزهد،ح:١٢٥٩، و١٢٦٠). والبخاري في الأدب المفرد (ح:٢٩١). وابن حبان (ح: ٤٨٦). والطبراني في (الكبير، ١/ ح: ٤٧٩، و ٤٨٠، و ٤٨١، و ٤٨٣، و ٤٨٦). والحاكم (٤/ ١٩٨– ١٩٩، و٣٩٩–٤٠١). وصححه. وذكره المنذري في (الترغيب، ٣/ ٢٦٢) وقال: "رواه الطبراني، ورواته محتج بهم في الصحيح، وابن حبان في صحيحه". وقال الهيثمي في (المجمع، ٢٤/٨): " رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح". وصححه الألباني في (الصحيحة، ح: ٤٣٢).

(١٧) انظر: الحاشية السابقة .

(١٨) رواه الترمذي في البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق (ح:٢٠٠٢)، وقال:حسن صحيح. وأبو داود في الأدب، باب في حسن الخلق (ح: ٤٧٩٩) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (ح: ١٦٢٨) .

(١٩) رواه البخاري في المظالم، باب قول الله {وهو ألد الخصام} (ح: ٢٤٥٧). ومسلم في العلم، باب في الألد الخصم (ح: ٢٦٦٨).

(٢٠) هو محمد بن كعب القرظي المدني، ثقة عالم قد نزل الكوفة مدة (٤٠–١٢٠هـ). (انظر: تقريب التهذيب، الترجمة: ٦٢٩٧).

(٢١) فتح الباري (١٨١/١٣) .

(٢٢) المرجع السابق (١٨١/١٣).

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ – رضي الله عنهما – قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((..وَمَنْ خَاصَمَ فِي بَاطِلٍ وَهُوَ يَعْلَمُهُ لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَنْزِعَ عَنْهُ، وَمَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنَهُ اللَّهُ رَدْغَةَ الْخَبَالِ(٢٣)))(٢٤).

فهذه النصوص ذكرت ما يحبه الله من الأخلاق وما يبغضه منها، وأن رضا الله عن العبد يكمن في فعل ما يحبه الله والبُعد عما يُبغضه الله، والعكس صحيح أيضًا. ولا شك أن العاقل سيحرص على السعي للتحلي بهذه الأخلاق الحسنة، ومجاهدة النفس في التخلي عن الأخلاق السيئة، وذلك حرصًا منه لكسب رضا الله في فعل ما يحبه وترك ما يبغضه، فيمتثل ويستجيب لأمر الله وأمر رسوله ﷺ بكل حركاته، فما من أخلاق حسنة إلا أمرنا الله ورسوله ﷺ بها؛ إما بعينها أو في الجملة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(٢٥). وقال سبحانه: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾(٢٦).

وموقف المؤمن تجاه أمر الله وأمر رسوله هو الاستجابة والتنفيذ، والانقياد والطاعة، وليس له خيرة في ذلك، كما أخبر سبحانه: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(٢٧).

وقال سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾(٢٨).

٢ – ومن أهداف الاستقامة الخلقية في الإسلام: طلب مجاورة الحبيب محمد ﷺ يوم القيامة وكسب حبه، والقرب منه، كما في قوله ﷺ: ((إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيْهِقُونَ)).

---

(٢٣) رَدْغَة الْخَبَال: بِفَتْحِ الرَّاء وَسُكُون الدَّال الْمُهْمَلَة وَفَتْحهَا، هِيَ طِين وَوَحْل كَثِير، وَجَاءَ تَفْسِيرهَا فِي الْحَدِيث أَنَّهَا عُصَارَة أَهْل النَّار. (انظر: النِّهَايَة، ٢/٢١٥).

(٢٤) رواه أحمد (٢/٧٠). وأبو داود في القضاء، باب في الرجل يعين على خصومة من غير أن يعلم أمرها (ح: ٣٥٩٧). والحاكم (٢/٢٧). وقال: صحيح الإسناد. قال الألباني في (الصحيحة، ح: ٤٣٧): "وهو كما قالا [يعني: الحاكم والذهبي]، و رجاله ثقات رجال مسلم، غير يحيى بن راشد و هو ثقة كما في "التقريب"اهـ . .

(٢٥) سورة النحل: [٩٠].

(٢٦) سورة الأعراف: [١٩٩].

(٢٧) سورة النور: [٥١].

(٢٨) سورة النساء: [٦٥].

قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ(٢٩) فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ : ((الْمُتَكَبِّرُونَ))(٣٠).

وعند أحمد من حديث أبي ثعلبة الخشني ﵁(٣١) قال : قال رسولُ الله ﷺ : ((إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي فِي الْآخِرَةِ مَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا ، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي فِي الْآخِرَةِ مَسَاوِيكُمْ أَخْلَاقًا ، الثَّرْثَارُونَ الْمُتَفَيْهِقُونَ))(٣٢).

وقال ﷺ : ((مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا))(٣٣). وفي رواية : ((مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي))(٣٤).

وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ، وليشمر المجدون ، أليس هذا وعدَ حقٍّ لمن امتثل محاسن الأخلاق ونافس عليها أن يكون جارًا وحبيبًا للحبيب ﷺ أفضل الخلق أجمعين ، ألا يكفي العاقلَ هذا الهدفُ دافعًا لبذل الغالي والنفيس للوصول لهذه المنزلة العظيمة ، والمرتبة الرفيعة ، لقد كان هذا الهدف وراء أخلاق الكبار من سلفنا الصالح رضوان الله عليهم ، كما في سيرهم وتراجمهم .

---

(٢٩) الثَّرْثَارُون: هُم الذين يُكْثِرون الكلام تَكَلُّفاً وخروجا عن الحقِّ . والثَّرْثرة : كَثْرة الكلام وتَرْدِيدُه. (النهاية، مادة: ثرثر،٢٠٩/١).

وأما المتشدقون: فهم المتوسعون في الكلام من غير احتياط واحتراز. وقيل: أراد بالمتشدق: المستهزئ بالناس يلوي شدقَه بهم وعليهم. (انظر: النِّهَايَة، مادة: شدق. ٤٣٥/٢).

(٣٠) رواه الترمذي في البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأمور (ح: ٢٠١٨)، وقال: حسن غريب من هذا الوجه. ورواه ابن أبي شيبة في (مصنفه، ح:٥٣٧٢). والخطيب في (تاريخ بغداد، ٦٣/٤). من حديث جابر ﵁ وحسنه الألباني في (الصحيحة،ح: ٧٩١) . وإسناد الحديث حسن؛ لأن المبارك بن فضالة وإن كان صدوقًا مدلسًا فقد صرح بالتحديث. (انظر: التقريب؛ الترجمة: ٦٥٠٦). وللحديث شواهد:

١- حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، أخرجه أحمد (٢ / ١٨٥). والبخاري في الأدب المفرد (ح: ٢٧٢). ورواه في صحيحه، في فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عبد الله بن مسعود (ح: ٣٧٥٩) مختصرًا بلفظ: ((إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا)). ورواه البيهقي في (الشعب، ح: ٧٦١٩).

٢ – حديث ابن مسعود عند الطبراني في (الكبير؛ ١٠/ ح: ١٠٤٢٤).

٣- حديث أبي ثعلبة الخشنة التالي.

(٣١) صحابي مشهور لا يكاد يعرف إلا بكنيته، قيل: اسمه جُرثوم أو جرثومة، وقيل غير ذلك، توفي في خلافة معاوية ﵁ . (انظر: سير أعلام النبلاء، ٥٦٨/٢، وتقريب التهذيب (ص: ١١٢٣، ترجمة: ٨٠٦٣).

(٣٢) رواه أحمد (١٩٣/٤). وهناد في (الزهد،ح: ١٢٥٥). والطبراني في (الكبير، ٥٨٨/٢٢). وفي (مسند الشاميين، ح: ٣٤٩٠). وابن حبان (الإحسان، ٣٥١/١). وأبو نعيم في (الحلية، ٩٧/٣). والبيهقي في (الشعب، ح: ٧٦٢٢). والخطيب في (الفقيه والمتفقه، ١١١/٢). والبغوي في (شرح السنة،٣٦٦/١٢). قال العراقي في (تخريج أحاديث الإحياء، ٣٥٧/٣) في حديث أحمد: " فيه انقطاع، ومكحول لم يسمع من أبي ثعلبة". وقال الهيثمي في (المجمع، ٢١/٨): "رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد رجال الصحيح".

والحديث منقطع الإسناد كما قال العراقي، ولكن بمجيئه من طرق أخرى كما في الحاشية السابقة ينجبر الانقطاع، والله أعلم.

(٣٣) رواه مسلم في الإيمان، باب قول النبي ﷺ "من غشنا فليس منا" (ح: ١٠١) من حديث أبي هريرة ﵁.

(٣٤) المرجع السابق (ح: ١٠٢) من حديث أبي هريرة ﵁.

٣ – ومن أهداف الاستقامة الخلقية في الإسلام : طلب الرقي والكمال في درجات الإيمان ، وبمقدار أخلاق المسلم يكون مقدار إيمانه ؛ فكلما ترقى المسلم في سلّم الأخلاق ترقى في سلّم الإيمان ؛ ولذا قال ﷺ : ((فَأَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيْمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا))(٣٥). دل الحديث على أن كمال الإيمان في كمال حسن الخلق.

وعَنْ عَائِشَةَ – رضي الله عنها – أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال : ((إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ))(٣٦). وفي صحيح مسلم عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سِمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ قَالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ الْبِرِّ.. فَقَالَ : ((الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ..))(٣٧).

قال ابن القيم : " فقابل البر بالإثم وأخبر أن البر حسن الخلق ، والإثم حوازُّ الصدور ، وهذا يدل على أن حسن الخلق هو الدين كله ، وهو حقائق الإيمان وشرائع الإسلام ؛ ولهذا قابله بالإثم " (٣٨).

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴾(٣٩). أي إنما يتخرّصُ الكذبَ ، ويتقوّلُ الباطلَ ، الذين لا يصدّقون بحجج الله وإعلامه ؛ لأنهم لا يرجون على الصدق ثوابًا ، ولا يخافون على الكذب عقابًا ، فهم أهل الإفك وافتراء الكذب ، ﴿ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴾ أي الذين لا يؤمنون بآيات الله هم أهل الكذب لا المؤمنون الذين يرجون من الله على الصدق الثوابَ الجزيلَ ، ويخافون على الكذب العقاب الأليم(٤٠).

---

(٣٥) رواه أحمد (٥٢٧/٢). وأبو داود في السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه (ح: ٤٦٨٢). والترمذي في الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها (ح: ١٦٢)، وقال:حسن صحيح. وابن أبي شيبة (ح: ٥٣٧٣). وصححه الألباني في صحيح الجامع (ح:١٢٣٢).

(٣٦) رواه أحمد (٩٠/٦). وأبو داود في الأدب، باب في حسن الخلق (ح: ٤٧٩٨). والحاكم (٦٠/١). والبغوي في (شرح السنة، ح: ٣٥٠٠). وابن حبان (ح: ١٩٢٧). والبيهقي في (الشعب، ح:٧٦٣٢). وقال الحاكم: "هذا حديث على شرط الشيخين و لم يخرجاه". قال الألباني في (الصحيحة،ح: ٧٩٥) معقبًا: "وهو كما قالا [يعني: الحاكم والذهبي]؛ لولا أنه اختلف في سماع المطلب من عائشة فقال أبو حاتم: "روايته عنها مرسلة ولم يدركها". وقال أبو زرعة: " نرجو أن يكون سمع منها". لكن الحديث على كل حال صحيح بما تقدم وقد وجدت له طريقا أخرى عنها موصولة، أخرجه ابن عدي في (الكامل،١٤٩/١) عن اليمان بن عدي: حدثنا زهير بن محمد، عن يحيى بن سعيد، عن القاسم، عنها به. وقال: " لا أعلم يرويه عن زهير غير يمان ". قلت: وفيهما ضعف غير شديد، فحديثهما في الشواهد لا بأس به"اه .. قال الحافظ ابن حجر في ترجمة زهير بن محمد:" ثقة إلا أن رواية أهل الشام عنه غير مستقيمة فضعف بسببها.." (انظر: التقريب، ص: ٣٤٢، ترجمة: ٢٠٦٠)، والراوي عن زهير: هو: اليمان بن عدي أبو عدي حمصي شامي لين الحديث (انظر: التقريب، ص: ١٠٩٢، ترجمة: ٧٩٠٨).

(٣٧) رواه مسلم في البر والصلة، باب تفسير البر والإثم (ح: ٢٥٥٣) .

(٣٨) مدارج السالكين (٣٠٦/٢).

(٣٩) سورة النحل : [١٠٥].

(٤٠) تفسير الطبري (٣٠٢/١٧) .

٤ – ومن أهداف الاستقامة الخلقية في الإسلام : طلب دخول الجنة ، فقد سُئِلَ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ فَقَالَ : ((تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ))(٤١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَى ظَهْرِ طَرِيقٍ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأُنَحِّيَنَّ هَذَا عَنْ الْمُسْلِمِينَ لَا يُؤْذِيهِمْ، فَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ))(٤٢). والنصوص كثيرة في هذا .

ومن أراد الجنة ، فإن سلعة الله غالية ، فلا بد له من مجاهدة النفس بالتحلي بالفضائل ومكارم الأخلاق ، التي هي طريق للجنة كما في النصوص ، ويكفي النفوس العلية نيل هذا الهدف لتصابر وتجاهد حتى تنال الجنة.

٥ – ومن أهداف الاستقامة الخلقية في الإسلام : نشر الألفة والمودة بين المؤمنين بعضهم ببعض ، والحفاظ على تماسك المجتمع وتلاحمه ، وهذا مطلب نفيس يُبذل له كل ممكن ، فمتى كان المجتمع متماسكًا متحابًّا آمنًا مطمئنًّا كان العطاء والبناء ، والازدهار والنماء ، ومما يُكسب به هذا التماسك والتحاب: البدء بالسلام والذي يزيل الضغائن ، ويورث التحابب ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا ، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا ، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ))(٤٣).

فإفشاء السلام شعار للسلام النفسي ، بل وللسلام العالمي ، ألست تعطي عهدًا موثقًا بالسلام على من سلمت عليه ، هذا هو معنى قول المسلم : "السلام عليكم". يقول النووي – رحمه الله – : " وَالسَّلَامُ أَوَّل أَسْبَاب التَّأَلُّف ، وَمِفْتَاح اِسْتِجْلَاب الْمَوَدَّة. وَفِي إِفْشَائِهِ تَمَكُّنُ أُلْفَة الْمُسْلِمِينَ بَعْضهمْ لِبَعْضٍ ، وَإِظْهَار شِعَارهمْ الْمُمَيِّز لَهُمْ مِنْ غَيْرهمْ مِنْ أَهْل الْمِلَل ، مَعَ مَا فِيهِ مِنْ رِيَاضَة النَّفْس ، وَلُزُوم التَّوَاضُع ، وَإِعْظَام حُرُمَات الْمُسْلِمِينَ"(٤٤).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو – رضي الله عنهما – أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ ؟ قَالَ : ((تُطْعِمُ الطَّعَامَ ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَعَلَى مَنْ لَمْ تَعْرِفْ))(٤٥).

وبإفشاء السلام يُرفع التَّقَاطُع وَالتَّهَاجُر وَالشَّحْنَاء وَفَسَاد ذَات الْبَيْن الَّتِي هِيَ الْحَالِقَة ، وَأَنَّ سَلَامه لِلَّهِ لاَ يَتْبَع فِيهِ هَوَاهُ ؛ وَلَا يَخُصّ أَصْحَابه وَأَحْبَابه بِهِ(٤٦).

---

(٤١) رواه أحمد (٤٤٢/٢). والترمذي في البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق (ح: ٢٠٠٤). وقال: "حديث صحيح غريب". ورواه ابن ماجه في الزهد، باب ذكر الذنوب (ح: ٤٢٤٦). والبخاري في (الأدب المفرد، ح: ٢٨٩). وابن حبان (ح: ٤٧٦). والحاكم (٣٢٤/٤). وقال:" هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه". وصححه الألباني في صحيح الترمذي (ح: ١٦٣٠).

(٤٢) رواه البخاري في المظالم، باب من أخذ الغصن وما يؤذي الناس في الطريق فرمى به (ح: ٢٤٧٢) . ومسلم- واللفظ له – في البر والصلة، باب فضل إزالة الأذى عن الطريق (ح: ١٩١٤) .

(٤٣) رواه مسلم في الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سبب لحصولها (ح: ٥٤).

(٤٤) شرح صحيح مسلم للنووي، (٣١٢/١) في شرح حديث (٥٤) .

(٤٥) رواه البخاري في الإيمان، باب إطعام الطعام من السلام (ح: ١٢). ومسلم في الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل (ح: ٣٩).

(٤٦) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي، (٣١٢/١) في شرح حديث (٥٤) .

ففي البخاري معلقًا بصيغة الجزم عن عَمَّار بن ياسر ﵁ قال : " ثَلَاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الْإِيمَانَ : الْإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ ، وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ ، وَالْإِنْفَاقُ مِنْ الْإِقْتَارِ "(٤٧) .

وعن الطُّفَيْلِ بْنِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ(٤٨) أَخْبَرَ : أَنَّهُ كَانَ يَأْتِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ فَيَغْدُو مَعَهُ إِلَى السُّوقِ ، قَالَ : فَإِذَا غَدَوْنَا إِلَى السُّوقِ لَمْ يَمُرَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ عَلَى سَقَاطٍ(٤٩) وَلَا صَاحِبِ بِيعَةٍ وَلَا مِسْكِينٍ وَلَا أَحَدٍ إِلَّا سَلَّمَ عَلَيْهِ... " (٥٠) .

وقال الحسن البصري : "المصافحةُ تزيدُ في المودَّةِ "(٥١) .

وقد رُوي في (الموطَّأ) من مرسل عَطَاءِ بْنِ أَبِي مُسْلِمٍ عَبْدِ اللَّهِ الْخُرَاسَانِيِّ(٥٢) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ((تَصَافَحُوا يَذْهَبْ الْغِلُّ ، وَتَهَادَوْا تَحَابُّوا وَتَذْهَبْ الشَّحْنَاءُ))(٥٣) .

فإفشاء السلام مع الابتسامة لكل أحد خلق رفيع لها آثار كبيرة في تماسك المجتمع وتحاب أفراده ، ومن ثم ازدهاره ونهضته.

---

(٤٧) رواه البخاري معلقًا بصيغة الجزم (ص: ٨) في باب إفشاء السلام من الإسلام (٢٠). قال الحافظ في (الفتح،١/٨٢-٨٣) أَخْرَجَهُ أَحْمَد بْن حَنْبَل فِي كِتَاب الْإِيمَان مِنْ طَرِيق سُفْيَان الثَّوْرِيّ، وَرَوَاهُ يَعْقُوب بْن شَيْبَة فِي مُسْنَده مِنْ طَرِيق شُعْبَة وَزُهَيْر بْن مُعَاوِيَة وَغَيْرهمَا، كُلّهمْ عَنْ أَبِي إِسْحَاق السُّبَيْعِيّ، عَنْ صِلَة بْن زُفَر، عَنْ عَمَّار.." وصححه الحافظ موقوفًا في (تغليق التعليق، ٢/٣٨-٤١) بعد أن أطال في ذكر من وصله، ومن رفعه وشواهده وبيَّن أن المرفوع ضعيف.

(٤٨) هو: ابن الصحابي الجليل أبي بن كعب الأنصاري، وكان يلقب أبا بطن لعظم بطنه، وكان صديقاً لابن عمر، ثقة، يقال: ولد في عهد النبي ﷺ. (انظر: تقريب التهذيب، ص: ٤٦٣، ترجمة: ٣٠٣٤).

(٤٩) السقاط: هو الذي يَبيعُ سَقَط المتَاع، وهو رَديئُه وحَقِيره. و(صاحب بِيعة) البِيعَة بالكسر من البيع: الْحَالَة كالرِّكبة والقِعْدة، (انظر: النهاية لابن الأثير، مادة (سقط، ٢/٣٧٩). ومادة (بيع، ١/١٧٤).

(٥٠) رواه مالك في الموطأ (٢/٩٦١)كتاب السلام، باب جامع السلام. والبخاري في الأدب المفرد، باب من خرج يسلم ويسلم عليه (ح: ١٠٠٦). وأبو نعيم في (الحلية، ١/٣١٠). والبيهقي في (الشعب، ح: ٨٤١١). =

ذكره النووي في رياض الصالحين (ص: ٢٧٥)، وقال:" رواه مالك في الموطأ بإسناد صحيح". وقال محقق جامع الأصول-عبد القادر الأرنؤوط- (٦/٥٩٨): إسناده صحيح.

(٥١) رواه ابن أبي الدنيا في (الإخوان، ص: ١٧٦). والخطيب في (تاريخ بغداد، ٦/٣٥٨).

(٥٢) هو: عطاء بن أبي مسلم، أبو عثمان الخراساني، واسم أبيه ميسرة، وقيل: عبد الله، صدوق يهم كثيرًا ويرسل ويدلس، مات سنة خمس وثلاثين ومائة . (انظر: تقريب التهذيب، ص: ٦٧٩، ترجمة: ٤٦٣٣).

(٥٣) رواه مرسلاً مالك في الموطأ (٢/٩٠٨) في كتاب حسن الخلق (ح: ١٦). قال ابن عبد البرِّ في (التمهيد، ٢١/١٢): "وهذا يتصِّلُ من وجوهٍ شتَّى حسانٍ كلِّها". وذكره النووي في (الأذكار ص: ٢٦٦): وقال: حديث مرسل". وقال الحافظ في (الفتح، ١١/٥٥): "ولم نقف عليه موصولاً". وقال السخاوي في (المقاصد الحسنة، ص: ٢٧٠):" وهو حديث جيد، وقد بينت ذلك مع ما وقفت عليه من معناه في تكملة شرح الترمذي". قال الألباني في (الإرواء، ٦/ ٤٦): "وهذا مرسل ضعيف، عطاء هذا تابعي صغير صدوق يهم كثيرًا. وقد أخرجه عبد الله بن وهب في "الجامع" (ص: ٣٨) عن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز عن أبيه مرفوعًا به. وهذا مرسل أيضًا ولكنه أقوى من الذي قبله؛ فإن عمر بن عبد العزيز هو الخليفة الأموي الراشد تابعي وابنه عبد الله ترجمه ابن أبي حاتم (٢/٢، ١٠٧) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً"اهـ ..

وقد جاء في الصحيحين من حديث أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : ((لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا ، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ))(٥٤) .

وَلِأَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ : ((لَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَهْجُرَ مُؤْمِنًا فَوْقَ ثَلَاثٍ ، فَإِنْ مَرَّتْ بِهِ ثَلَاثٌ فَلْيَلْقَهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ ، فَإِنْ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ فَقَدْ اشْتَرَكَا فِي الْأَجْرِ ، وَإِنْ لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ فَقَدْ بَاءَ بِالْإِثْمِ))(٥٥) . قال أبو داود السجستاني : زَادَ أَحْمَدُ(٥٦) ((وَخَرَجَ الْمُسَلِّمُ مِنْ الْهِجْرَةِ))(٥٧) .

وفي رواية عن هِشَام بْن عَامِرٍ ﵁ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : ((لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ مُسْلِمًا فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ ، فَإِنْ كَانَ تَصَارَمَا فَوْقَ ثَلَاثٍ فَإِنَّهُمَا نَاكِبَانِ عَنْ الْحَقِّ مَا دَامَا عَلَى صُرَامِهِمَا ، وَأَوَّلُهُمَا فَيْئًا فَسَبْقُهُ بِالْفَيْءِ كَفَّارَتُهُ ، فَإِنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ وَرَدَّ عَلَيْهِ سَلَامَهُ رَدَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ ، وَرَدَّ عَلَى الْآخَرِ الشَّيْطَانُ ، فَإِنْ مَاتَا عَلَى صُرَامِهِمَا لَمْ يَجْتَمِعَا فِي الْجَنَّةِ أَبَدًا))(٥٨) .

قال الحافظ : " وَاسْتُدِلَّ بِهَذِهِ الْأَحَادِيث عَلَى أَنَّ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ أَخِيهِ الْمُسْلِم وَامْتَنَعَ مِنْ مُكَالَمَته وَالسَّلَام عَلَيْهِ أَثِمَ بِذَلِكَ ؛ لِأَنَّ نَفْي الْحِلّ يَسْتَلْزِم التَّحْرِيم ، وَمُرْتَكِب الْحَرَام آثِم "(٥٩) .

فيكفي المسلم هدفًا مجانبة هذا الإثم والهروب منه ، وواقع الناس اليوم مليء – وللأسف – بالتدابر والتهاجر وبشكل مريع ، ولا شك أن معرفة الناس بمثل هذه الأحاديث ونشرها وكثرة تداولها بينهم ستكون دافعًا لهم بالتخلق بأخلاق التسامح والعفو والتصافي ، وستساهم في تخفيف وعلاج هذه الظاهرة.

٦ – ومن أهداف الاستقامة الخلقية في الإسلام : تحقيق أصل الدين وجوهر الإيمان ؛ لأن الأخلاق هي المعيار الصحيح الذي نعرف به مدى تحقيقنا لإسلامنا ، فقد أجمل النبي ﷺ البر في حسن الخلق فقال : ((الْبِرُّ حُسْنُ

---

(٥٤) رواه البخاري في الأدب، باب الهجرة (ح: ٦٠٧٧). ومسلم في البر والصلة، باب تحريم الهجر فوق ثلاثة أيام بلا عذر شرعي (ح٢٥٦٠) .

(٥٥) رواه أبو داود في الأدب، باب في هجرة الرجل أخاه (ح: ٤٩١٢). والبخاري في الأدب المفرد، باب أن السلام يجزئ من الصرم (ح: ٤١٤). والبيهقي في (الكبرى، ٦٣/١٠). وحسنه النووي في (رياض الصالحين، ح: ١٥٩٧). وصححه ابن حجر في (الفتح، ٤٩٥/١٠). وقال الألباني في (الإرواء، ٩٤/٧): وهلال [الراوي عن أبي هريرة] مجهول، وبقية رجاله ثقات.

(٥٦) أي أحمد بن سعيد بن صخر الدارمي، أبو جعفر السرخسي، ثقة حافظ، أحد رواة الحديث، المتوفى سنة (٢٥٣هـ). (انظر: التقريب، ترجمة: ٣٩).

(٥٧) انظر تخريجه في الحاشية ما قبل السابقة .

(٥٨) رواه أحمد (٢٠/٤). وابن المبارك في (الزهد، ح: ٧٨٤). والطيالسي (ح: ١٣١٩). والبخاري في الأدب المفرد، باب هجرة المسلم (ح: ٤٠٢). وأيضًا في باب المهتجرين (ح: ٤٠٧). وأبو يعلى (٣/ ١٢٦ح: ١٥٥٧). والطبراني في (الكبير، ١٧٥/٢٢). وابن حبان (ح: ٥٦٦٤). والبيهقي في (الشعب، ٦١٩٦). وذكره الهيثمي في (المجمع، ٦٦/٨) وقال: " رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني، ورجال أحمد رجال الصحيح". وذكره الحافظ في (فتح الباري،٤٩٥/١٠) وقال: صححه ابن حبان. وصححه الألباني في (الصحيحة، ح: ١٢٤٦، وقال في الإرواء: ٩٥/٧): "إسناده صحيح على شرطهما".

(٥٩) فتح الباري (٤٩٦/١٠) .

الْخُلُقِ؟))(٦٠)، كما أجمل ﷺ الغرض من بعثته في إتمام مكارم الأخلاق، ومعالي الآداب، والعمل على تقويمها، وإشاعتها فقال ﷺ: ((إنَّما بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاَقِ))(٦١). وصدق من قال: إن الدين المعاملة(٦٢).

وصدق ابن القيم – رحمه الله – إذ يقول: " الدينُ كلّه خُلق، فمن زاد عليك في الْخُلُقِ زاد عليك في الدِّين"(٦٣).

فالأخلاق دليل الإسلام وترجمته العملية، وكلما كان الإيمان قويًّا أثمر خلقًا قويًّا، والعكس صحيح أيضًا، والأخلاق هي جوهر الإسلام ولبه، وروحه السارية في جميع نواحيه، ولذا كان حسن الخلق دليلاً على صحة العبادات، ومعيارًا لقبولها عند الله، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا.

قَالَ: ((هِيَ فِي النَّارِ)).

قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَإِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا وَصَلَاتِهَا، وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنْ الْأَقِطِ وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا.

قَالَ: ((هِيَ فِي الْجَنَّةِ))(٦٤).

ولما كان الإيمان هو منبع الأخلاق، وقوة عاصمة عن الدنايا، ودافعة إلى المكرمات، نجد أن النصوص كثيرًا ما تربط بين الإيمان وحسن الخلق، وتجعل الالتزام بالأخلاق من مقتضى الإيمان المستقر في القلوب، وما أكثر ما

---

(٦٠) رواه مسلم، وقد تقدم تخريجه في (ص: ٩).

(٦١) رواه أحمد (٣٨١/٢). والبخاري في (الأدب المفرد، ح: ٢٧٣). وابن سعد في (الطبقات، ١٩٢/١). والطحاوي في (مشكل الآثار، ح: ٤٤٣٢). والحاكم (٦١٣/٢) وقال: صحيح على شرط مسلم. والبيهقي في (الكبرى، ١٩٢/١٠). ورواه مالك في الموطأ بلاغًا (٩٠٤/٢). قال الهيثمي في (المجمع، ١٥/٩): " رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح". وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (ح: ٢٠٧). وفي (الصحيحة،ح: ٤٥). وقال محقِّقَا مسندِ أحمدَ: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد:"صحيح، وهذا إسناد قوي؛ رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عجلان فقد روى له مسلم متابعة، وهو قوي الحديث" (المسند بتحقيق الأرنؤوط وآخرين، ح: ٨٩٥٢) .

(٦٢) رغم شهرته ليس بحديث، و لم أعثر على أصل له في دواوين السنة. قال الألباني: " لا أصل لذلك، ولا في الأحاديث الموضوعة!". (انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ص: ١١).

(٦٣) مدارج السالكين (٣٢٠/٢) .

(٦٤) رواه أحمد (٤٤٠/٢). والبخاري في الأدب المفرد (ح: ١١٩). والبزار كما في (كشف الأستار، ح: ١٩٠٢). وابن حبان (ح: ٥٧٦٤). والبيهقي في (الشعب، ح: ٩٠٩٨). قال الهيثمي في (المجمع، ١٦٩/٨): "رواه أحمد والبزار ورجاله ثقات". الحديث حسن لأن فيه: أبا يحيى مولى جعدة بن هبيرة المخزومي، مدني مقبول من الرابعة، لم يرو عنه غير سليمان الأعمش، وروى له مسلم متابعة، والبخاري في الأدب المفرد، وابن ماجه، وثقه ابن معين، وذكره ابن حبان في (الثقات، ٥٧٧/٥). وباقي رجال السند ثقات رجال الشيخين .

يقول الله تعالى في كتابه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾(٦٥) ، ثم يذكر بعد ذلك ما يكلفهم به. كما في قوله سبحانه في سورة التوبة : ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾(٦٦). فانظر كيف ربط بين الإيمان والصدق ومصاحبة الصادقين؟

وكذلك نجد المصطفى ﷺ يربط بين التحلي بمكارم الأخلاق، والتخلي عن مساوئها ، وبين الإيمان ، في كثير من الأحاديث ، فقال ﷺ : ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ))(٦٧).

وقال ﷺ : ((لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ -أَوْ قَالَ لِجَارِهِ- مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ))(٦٨).

وقال ﷺ : ((مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ))(٦٩).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ((لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ ، وَلَا اللَّعَّانِ ، وَلَا الْفَاحِشِ ، وَلَا الْبَذِيءِ))(٧٠).

---

(٦٥) فقد ورد خطاب المسلمين بهذه الصيغة تسعين مرة في القرآن، أولها في سورة البقرة [١٠٤]. وآخرها في سورة التحريم [٨].

(٦٦) سورة التوبة : [١١٩].

(٦٧) رواه البخاري في الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره (ح: ٦٠١٨). ومسلم في الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف...، وكون ذلك كله من الإيمان (ح: ٤٧) .

(٦٨) رواه البخاري في الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه (ح: ١٣). ومسلم في الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير (ح: ٤٥).

(٦٩) رواه الترمذي في الزهد، باب حديث من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه (ح: ٢٣١٧)، وقال: "حديث غريب". ورواه ابن ماجه في الفتن، باب كف اللسان في الفتنة (ح: ٣٩٧٦). وعبد الرزاق في مصنفه، باب ترك المرء ما لا يعنيه (ح: ٢٠٦١٧). وابن عدي في الكامل (٥٤/٦). وابن حبان (ح: ٢٢٩). وأبو نعيم في (الحلية، ١٧١/١٠). والبيهقي في (الشعب، ح: ٤٦٣٣). والخطيب في (تاريخ بغداد، ٣٠٩/٤، و١٧٢/٥، و٦٤/١٢). والبغوي في (شرح السنة، ح: ٤١٣٢). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه قرة بن عبد الرحمن بن حَيْوَئِيلَ وثقه قوم وضعفه آخرون.

قال ابن عدي في (الكامل (٥٤/٦): ".. ولم أر في حديثه حديثًا منكرًا جدًّا فأذكره، وأرجو أنه لا بأس به ". وذكره ابن رجب في (جامع العلوم والحكم، ٢٨٧/١) ونقل تحسين النووي له فقال: "وقد حسنه الشيخ المصنف رحمه الله(أي النووي صاحب الأربعين)؛ لأن رجال إسناده ثقات، وقرة بن عبد الرحمن بن حيوئيل وثقه قوم وضعفه آخرون، وقال ابن عبد البر: هذا الحديث محفوظ عن الزهري بهذا الإسناد من رواية الثقات، وهذا موافق لتحسين الشيخ له.."اهـ .. وصحح الحديث الألباني في صحيح الترمذي (ح: ٢٤٣٣) .

(٧٠) رواه أحمد (٤٠٤/١-٤٠٥). والترمذي في البر والصلة ، باب ما جاء في اللعنة (ح: ١٩٧٧)، وقال: "حسن غريب". والبخاري في (الأدب المفرد ، ح: ٣١٢) . وابن أبي الدنيا في (الصمت، ح: ٣٢٤). وأبو يعلى (ح: ٥٠٨٨). وابن حبان (ح: ١٩٢). والطبراني في (الكبير، ح: ١٠٤٨٣). والحاكم (١٢/١). وأبو نعيم في (الحلية، ٢٣٥/٤). والبيهقي في (الشعب، ح: ٤٧٨٦). والخطيب في تاريخه (٣٣٩/٥). والبغوي في (شرح السنة، ح: ٣٥٥٥).

قال الدار قطني في (العلل، ٩٣/٥): "ورُوي عن فضيل بن عياض عن ليث مرفوعًا وموقوفًا، والموقوف أصح". وقال الحاكم: "صحيح على شرط الشيخين". وصححه العراقي في (تخريج أحاديث الإحياء، ١٣٠/٣). وأحمد شاكر في تحقيقه للمسند (ح: ٣٨٣٩). والألباني في صحيح الترمذي (ح: ١٦١٠). وله كلام طويل ورد على من أعل الحديث في (الصحيحة، ح: ٣٢٠). راجعه إن شئت.

وعَنْ أَبِي شُرَيْحٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال : ((وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ)) قِيلَ : وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قَالَ : ((الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ(٧١)))(٧٢).

وقال ﷺ : ((الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ))(٧٣). فالرجل الصفيق الوجه ، المعوج السلوك ، الذي يقترف الرذائل غير آبِهٍ لأحد..يقول ﷺ في وصف حاله : ((الحياءُ والإيمانُ قُرِنَا جميعًا ، فإذَا رُفِعَ أحدُهُمَا رُفِعَ الآخرُ))(٧٤). والنصوص في هذا كثيرة جدًّا بحيث يصعب حصرها ، مما تؤكد تلازم الأمرين.

٧ – ومن أهداف الاستقامة الخلقية في الإسلام : استمالة قلوب الناس إلى الإسلام ودعوتهم إلى الخير، وتحبيبهم بالدين وأهله ، فمراعاة هذا الهدف مهم جدًّا في نجاح الدعوة إلى الله ، سواء كان المدعوون مسلمين أو كفارًا ، وإذا كان الله قد قال لنبيه ﷺ : ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾(٧٥) ، فغيره من باب أولى وأحرى ، فإذا أردنا حقًّا أن نوصل رسالة الإسلام لكل الناس فعلينا أن نقتدي بالنبي ﷺ ونلزم طريقه في الدعوة ، وأن نكسب – كما كان يفعل ﷺ – قلوب المدعوين بالمعاملة الحسنة ، والعشرة الطيبة ، وأن نتصف بأخلاق الإسلام ، من عفوٍ وصفحٍ ونفعٍ وصبرٍ وطلاقةِ وَجهٍ ، وطيبِ كلامٍ ، ليُصبحَ البعيدُ قريبًا ، والعدوُّ صديقًا ، فيحبّك الناسُ ، ومن أحبَّهُ النَّاسُ مَلَكَ قلوبهم ، وأثَّرَ في أفعالهم ، وإلاَّ فكيف نريد أن يقبلَ الناسُ مِنَّا وفي قلوبهم لنا جفوةٌ ، وفي نفوسهم نفرةٌ؟! وقد رُوي عن النبي ﷺ قوله : ((إِنَّكُم لَنْ تَسَعُوا النَّاسَ بِأَموالِكُم ، وَلكن يَسَعُهُم مِنكُم بَسطُ الوَجهِ وحُسنُ الْخُلُقِ))(٧٦).

ولا يمكننا التأثيرُ على نفوس النَّاس أبدًا وكسبُ قلوبهم ، إلا بتلمُّسِ الخيرِ فيهم ، والحرصِ على مكارمِ الأخلاقِ مَعَهم. وبمكارم الأخلاق والمعاملة الحسنة يترجم هذا الدين على صورته الناصعة ، وتظهر سماحته

---

(٧١) بوائِقَهُ: أَي ظُلْمَه وغَشْمَه، وغَوائِله وشَرّه. (النهاية لابن الأثير، ١٦٢/١، وتاج العروس للزبيدي، ١٠٦/٢٥، مادة: (بوق).

(٧٢) رواه البخاري في الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه (ح: ٦٠١٦) .

(٧٣) رواه البخاري من حديث عبد الله بن عمرو في الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده (ح: ١٠). ومسلم من حديث جابر في الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام...(ح: ٤١).

(٧٤) رواه ابن أبي شيبة في (مصنفه،ح: ٥٤٠٢). والبخاري في (الأدب المفرد،ح: ١٣١٣). والحاكم (١/ ٢٢). وقال: صحيح على شرط الشيخين. ورواه أبو نعيم في (الحلية، ٢٩٧/٤). والبيهقي في (الشعب،ح: ٧٣٣١). قال المناوي في (الفيض ٤٢٦/٣):" حديث صحيح غريب إلا أنه قد اختلف على جرير بن حازم في رفعه ووقفه". وصححه الألباني في (صحيح الجامع، ح: ١٥٩٩).

(٧٥) سورة آل عمران : [١٥٩].

(٧٦) رواه ابن شيبة في مصنفه (ح: ٥٣٨٥). وأبو يعلى (ح: ٦٥٥٠). والحاكم (١٢٤/١) وصححه. وأبو نعيم في (الحلية،٢٥/١٠). قال الذهبي متعقبًا على تصحيح الحاكم: "عبد الله واه" أي المقبري. وقال العراقي في (تخريج الإحياء، ٥٥/٣) : " أخرجه البزار وأبو يعلى والطبراني في مكارم الأخلاق من حديث أبي هريرة، وبعض طرق البزار رجاله ثقات". وقال الهيثمي في (المجمع، ٨، ٢٢): "رواه أبو يعلى والبزار..، وفيه عبد الله بن سعيد المقبري وهو ضعيف". وقال ابن حجر في فتح الباري (٤٥٩/١٠): أخرجه البزَّارُ بسَنَدٍ حَسَنٍ من حديث أبي هريرة رفَعَه" اهـ .. وضعفه الألباني في (الضعيفة، ح:٦٣٤)، وضعيف الجامع (ح:٢٠٤٢).

وجماله، وروعة شعائره، وصفاء عقيدته. وهي من أفضل وأحسن وسائل الدعوة إلى الله وإلى دينه الإسلام، وهذا معروف في التاريخ، فقد سطر أخبار دعاة صامتين، وجنود مجهولين، فكم من تاجر كان سببًا بحسن خلقه لدخول دول وشعوب في الإسلام، يذكرُ التَّاريخُ أنَّ الإسلامَ وصلَ إلى جنوبِ شرقي آسيا – وهي: ماليزيا، وأندونسيا، وجنوبي الفلبين– وسواحل شبه القارة الهندية، عن طريقِ تُجَّارٍ مسلمينَ(٧٧)، لكنَّهم مسلمونَ بحقٍّ، لم يؤثِّر عليهم بريقُ ولمعانُ الدِّينارِ والدِّرهمِ، بل تجسَّد الإسلامُ في سلوكِهم وأمانتِهم وصدقِهم، فأُعجِبَ النَّاس بهذهِ الأخلاقِ، فبحثوا وسألوا عن مصدرِها، فدخلوا الإسلامَ عن رغبةٍ واقتناع.

فالكل يعلم أن من أكبرِ وسائلِ التأثيرِ على القلوبِ والنُّفوسِ، هو التميُّزُ في الأخلاقِ، المتمثِّل في القدوةِ الصالحةِ، بل هو أعظمُ وسيلةٍ لنشرِ الإسلامِ في كلِّ مكان، فالإسلام دين الحق ودين الفطرة، يغزو القلوب والأفكار والمشاعر قبل أن يغزو البلاد، بجمال تشريعاته، وروعة أحكامه.

وليس من منهج الإسلام إكراه الناس باعتناقه، ومبدأه المشهور في هذا ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾(٧٨)، ولذا لا يجر الناس بالسلاسل والأغلال للدخول فيه، وإنما عن طريق تقديم الأدلة الناصعة والبرهان الواضح القاطع، وعن طريق كسب قلوبهم بالأخلاق الحسنة والعشرة الطيبة، وترجمة الإسلام في سلوك معتنقيه، كما قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾(٧٩).

٨ – **ومن أهداف الاستقامة الخلقية في الإسلام:** السعي في تعديل وتغيير النظرة السلبية والمشوهة عن الإسلام وأهله، إلى النظرة الصحيحة والإيجابية، وهذا هدف أساس لكل مسلم وواجب عليه، خاصة وهو يرى حملات عريضة تقاد هنا وهناك لتشويه صورة الإسلام، وصد الناس عنه، مما يجعل كل مسلم ومسلمة يسعى بكل إمكانياته وقدراته لتغيير هذه الصورة السلبية وتعديلها، وليس هناك وسيلة أقوى وأفضل، وأكثر تأثيرًا في هذا من ترجمة الأخلاق الإسلامية بالأفعال، وتطبيقها في الواقع العملي، فهو أوضح برهان وأبلغ وسيلة بالرد على كل مشكك وحاقد، وعلى الحملات المسعورة لتشويه صورة الإسلام والتي كثرت وتتابعت في عصرنا وبشكل محموم!!

وكيف ندعو الناس إلى الدين الحق وهم يحملون عنه صورة مشوهة مضللة منفرة وكل انطباعات سيئة؟! بل هناك من المسلمين فعلاً من تساهم أفعالهم وتصرفاتهم بترسيخ هذه الصورة المشوهة في أذهان غير المسلمين خاصة من المسلمين الذين يعيشون بين ظهرانيهم أو ممن يسافرون لبلادهم للتجارة أو الدراسة أو السياحة ونحوها، فمثلاً

---

(٧٧) انظر: التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر (٤١٥/٨) وما بعدها.

(٧٨) سورة البقرة: [٢٥٦].

(٧٩) سورة النحل: [١٢٥].

المسلمون في فرنسا يمثلون أقل من عشرة في المائة من عدد السكان، ومع ذلك تبلغ نسبة سجنائهم في سجون فرنسا سبعين في المئة من العدد الإجمالي، وقد سجنوا في قضايا أخلاقية وجنائية ومالية؟! بل إن بعض الطلاب المسلمين المبتعثين – مع الأسف – يقومون باستغلال القوانين المرنة للتهرب من تسديد رسوم الخدمات والمخالفات ونحوها، وتقديم معلومات مضللة عن أسمائهم وعناوينهم، والتحايل في التعاملات المالية والتجارية، والكذب وإخلاف المواعيد وغير ذلك مما يراه ويعلمه كل من وطئت قدمه تلك البلاد؟!!

فكيف نطالب بدحض تلك الافتراءات وإزالة تلك الأباطيل من أذهانهم عن دين الإسلام وعن المسلمين، وقد لا يرون غير هذه العينات الماثلة أمام أعينهم؟! والحق أنه ليس هناك وسيلة أقوى وأكثر تأثيرًا في هذا من ترجمة أخلاق الإسلام بالأفعال، وتطبيقها في الواقع العملي، فلا شك أنه أوضح برهان وأبلغ وسيلة ليقف أولئك القوم على حقيقة الإسلام وعظمته.

ومن تتبَّعَ سيرةَ قدوتنا المصطفى ﷺ وجد أنَّه كان يلازمُ الْخُلُقَ الحسنَ في سائرِ أحوالِه، حتى أصبح ديدنهُ وهجيراه، وخاصَّةً في دعوتِهِ إلى الله تعالى، فأقبلَ الناسُ ودخلوا في دينِ الله أفواجًا، بفضلِ الله – تعالى – ثم بفضلِ حُسنِ خُلُقِه عليه الصَّلاةُ والسلام .

واستمع إلى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وهو يحكي مقدمه ﷺ المدينة، فماذا كان يقول عندما وطئت قدماه الشريفتان المدينة ؟! قال عبد الله : ((لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَثْبَتُّ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: ((أَيُّهَا النَّاسُ! أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ))(٨٠).

فهذا أسلوب الداعية الأول في اليوم الأول من مقدمه المدينة، بأبي هو وأمي ﷺ، فدعا الناس إلى أصول الأخلاق المحببة للنفوس والمقربة للقلوب؛ من إفشاء السلام، وإطعام الطعام، وصلة الأرحام، وكلها داخلة في حسن الخلق والمعاملة الحسنة .

---

(٨٠) رواه أحمد (٥/٤٥١). والترمذي في صفة القيامة، باب حديث أفشوا السلام (ح: ٢٤٨٥). وقال: "هذا حديث صحيح". ورواه ابن ماجه في إقامة الصلاة، باب ما جاء في قيام الليل(ح: ١٣٢٩). والدارمي في الصلاة، باب فضل صلاة الليل (ح: ١٤٦٨). وابن أبي شيبة (٨/٥٣٦ و٦٢٤ و١٤/٩٥). وعبد بن حميد في المنتخب من مسنده (ح: ٤٩٦) . والحاكم (٣ /١٣). والبغوي في (شرح السنة،ح:٩٢٦). وقال: "حديث حسن صحيح". وقال الحاكم:" صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه". ووافقه الألباني في (الصحيحة، ح: ٥٦٩).

فكم دَخَلَ في الإسلامِ بسببِ معاملته وخُلُقه العظيم ﷺ ! فهذا يُسلم ويقول : ((وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ))(٨١).

والآخرُ يقول : ((فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ))(٨٢).

والثالث لما رأى جمالَ ورقَّةَ تصرفه معه ما وسعه إلا أن يقول : اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا ، وَلَا تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا ، ولم يتركه ﷺ على تحجيرِ رحمةِ الله التي وسعتْ كلَّ شيءٍ ، بل لَمَّا سَلَّمَ قال له : ((لَقَدْ حَجَّرْتَ وَاسِعًا – يُرِيدُ رَحْمَةَ اللَّهِ))(٨٣).

والرابع يقولُ بعد عفو النبي ﷺ عنه : ((جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ))(٨٤). والأمثلة كثيرة في سيرته ﷺ .

وقد بلغ من عناية النبي ﷺ بهذا الأسلوب الأمثل للدعوة أنه كان يوصي به المبعوثين في كل مكان ، فعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا بَعَثَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ قَالَ : ((بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا))(٨٥).

٩ – **ومن أهداف الاستقامة الخلقية :** الحرص على تأليف قلوب الكبار من رؤساء وأمراء ووجهاء... ؛ لما له من الأثر الكبير في مصلحة الإسلام وأهله ، كما كان ﷺ يقول : ((اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ))(٨٦) لما يعلمه ﷺ من مكاسب كبيرة في إسلام عمر رضي الله عنه .

ولذا كان من ضمن الأصناف الثمانية الذين تدفع إليهم الزكاة : المؤلفة قلوبهم ، قال تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ

---

(٨١) القائل: ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ سيد اليمامة. والحديث رواه البخاري في المغازي، باب وفد بني حنيفة ..(ح: ٤٣٧٢). ومسلم في الجهاد، باب ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه (ح: ١٧٦٤).

(٨٢) القائل هو مُعَاوِيَةُ بْنُ الْحَكَمِ السُّلَمِيُّ، والحديث رواه مسلم في المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته (ح: ٥٣٧) .

(٨٣) القائل أعرابي دخل المسجد فصلى فيه ركعتين ثم بال في طائفة المسجد، الحديث رواه البخاري في الأدب، باب رحمة الناس والبهائم (ح٦٠١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٨٤) القائل هو: غَوْرَثُ بْنُ الْحَارِثِ، جزء من حديث رواه أحمد (٣٦٤/٣). وعبد بن حميد في (مسنده، ح: ١٠٩٦). وأبو يعلى في (مسنده، ح: ١٧٧٨). وابن حبان (ح: ٢٨٨٣). والحاكم (٢٩/٣). والبيهقي في الدلائل (٣٧٥/٣-٣٧٦). وصحح الحديث الحاكم. وقال محققو مسند أحمد: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وسعيد اللحام (١٩٣/٢٣):" حديث صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير سليمان بن قيس اليشكري، فقد روى له الترمذي وابن ماجه، وهو ثقة...".

(٨٥) رواه البخاري في المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع (ح: ٤٣٤١). ومسلم –واللفظ له– في الجهاد، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير (ح: ١٧٣٢).

(٨٦) رواه ابن ماجه في مقدمة سننه، باب فضل عمر رضي الله عنه (ح: ١٠٥). والحاكم (٨٣/٣). والبيهقي في (الكبرى، ٣٧٠/٦). وقال الحاكم: "صحيح على شرط الشيخين". وقال الحافظ في (الفتح، ٤٨/٧) : "أخرجه الحاكم بإسناد صحيح". وقال الألباني في (صحيح ابن ماجه، ح: ٨٥): صحيح دون قوله: خاصة".

﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(٨٧)، فلا عجب في جعل الإسلام للمؤلفة القلوب نصيبًا من الزكاة مثل سائر الأصناف ؛ لأن غرض الإسلام هو هداية البشر ، وإذا كانت بعض القلوب لا تؤثر فيها الكلمات وإنما تؤثر فيها الدراهم والدنانير ، وهي مفاتيحها ، فإنَّ لكلِّ قلبٍ مفتاحًا ، إذًا فليكن المال وسيلة لتحقيق الغرض الأصلي ، فهو مفتاحٌ لكثيرٍ من القلوبِ ، خاصَّةً في مثل هذا الزَّمان ، والرّسولُ ﷺ يقول : ((إنِّي لأعطي الرَّجُل ، وغيرُه أحبُّ إليَّ منه خشيةَ أن يكبَّه الله في النَّار))(٨٨) .

ويحكي أهل السير أن صفوان بن أميَّة فرَّ يومَ فتح مكَّة خوفًا من المسلمين ، بعد أن استنفد كلَّ جهودِهِ في الصدِّ عن الإسلام ، والكيدِ والتآمُرِ لقتلِ رسول الله ﷺ ، فيعطيه الرسول ﷺ الأمانَ ، ويرجع إلى النبي ﷺ ، ويطلب منه أن يمهلَه شهرين للدخول في الإسلام ، قَالَ ﷺ : ((بَلْ تَسِيرُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ))

فَنزَلَ صَفْوَانُ وَخَرَجَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ قِبَلَ هَوازِنَ ، وَخَرَجَ مَعَهُ صَفْوَانُ وَهُوَ كَافِرٌ... ، فَشَهِدَ حُنَيْنًا وَالطّائِفَ ثُمّ رَجَعَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ إلَى الْجِعِرّانَةِ ، فَبَيْنَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَسِيرُ فِي الْغَنَائِمِ يَنْظُرُ إلَيْهَا ، وَمَعَهُ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيّةَ ، جَعَلَ صَفْوَانُ يَنْظُرُ إلَى شِعْبٍ مُلِئَ نَعَمًا وَشَاءً وَرِعَاءً ؛ فَأَدَامَ إلَيْهِ النّظَرَ وَرَسُولُ اللّهِ ﷺ يَرْمُقُهُ فَقَالَ : ((أَبَا وَهْبٍ يُعْجِبُك هَذَا الشّعْبُ ؟))

قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : ((هُوَ لَك وَمَا فِيهِ))

فَقَالَ صَفْوَانُ عِنْدَ ذَلِكَ : مَا طَابَتْ نَفْسُ أَحَدٍ بِمِثْلِ هَذَا إلّا نَفْسُ نَبِيّ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إلَهَ إلّا اللّهُ ، وَأَنّ مُحَمّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَسْلَمَ مَكَانَهُ "(٨٩).

وفي صحيح مسلم عَنْ ابْنِ شِهَابٍ(٩٠) قَالَ : " غزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةَ الْفَتْحِ فَتْحِ مَكَّةَ ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ ، فَاقْتَتَلُوا بِحُنَيْنٍ فَنَصَرَ اللَّهُ دِينَهُ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَأَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

---

(٨٧) سورة التوبة : [٦٠] .

(٨٨) رواه البخاري في الزكاة، باب من سأل الناس تكثرًا (ح: ١٤٧٨).

(٨٩) أصل الحديث في صحيح مسلم كما سيأتي، و هذا السياق للواقدي في مغازيه (٢/٨٥٣-٨٥٥). وروى الإمام مالك بعضه في الموطأ بلاغًا من مراسيل ابن شهاب، فذكر خروجه إلى الطائف والحنين وهو كافر، في كتاب النكاح، باب: نكاح المشرك إذا أسلمت زوجته قبله (ح: ٤٤). ورواه البيهقي من طريق مالك في (الكبرى، ٧/١٨٧)، وفي (الدلائل، ٥/٩٧). وأخرجه ابن إسحاق من غير طريق الزهري عن عروة (سيرة ابن هشام، ٢/٤١٧-٤١٨). ومن طريق ابن إسحاق أخرجه الطبري في تاريخه (٣/٦٣).

وقال ابن عبد البر في (التمهيد، ١٢/١٩): " هذا الحديث لا أعلمه يتصل من وجه صحيح، وهو حديث مشهور، معلوم عند أهل السير؛ وابن هشام إمام أهل السير وعالمهم، وكذلك الشعبي، وشهرة الحديث أقوى من إسناده إن شاء الله"اه .. وقال الألباني في (الإرواء، ٦/٣٣٧): " وهذا إسناد معضل أو مرسل".

وذكره الذهبي في (سير أعلام النبلاء، ٢/٥٦٢-٥٦٦). والمتقي الهندي في (كتر العمال، ح: ٣٠١٧٠)، وعزاه إلى الواقدي وابن عساكر. وذكره الصالحي في (سبل الهدى والرشاد، ٥/٢٥٤) .

(٩٠) هو: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب القرشي الزهري، وكنيته أبو بكر، الفقيه الحافظ متفق على جلالته وإتقانه وثبته، مات سنة خمس وعشرين ومائة وقيل: قبل ذلك بسنة أو سنتين. (انظر: تقريب التهذيب، ص: ٨٩٦، ترجمة: ٦٣٣٦).

يَوْمَئِذٍ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ مِائَةً مِنْ النَّعَمِ ، ثُمَّ مِائَةً ثُمَّ مِائَةً ، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ : حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَنَّ صَفْوَانَ قَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا أَعْطَانِي وَإِنَّهُ لَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ"(٩١) .

لقد استطاع الحبيبُ ﷺ بهذه اللَّمَسَات الحانية وبهذا التعامُلِ العجيبِ أن يصِلَ لهذا القلبِ بعد أن عَرَف مفتاحَه ، إنها أخلاق الكبار ، فعَنْ أَنَسٍ ﵁ قَالَ : ((مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ ، قَالَ : فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ : يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا ؛ فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ))(٩٢).

ومن أجل ذلك كان من الوسائل المفيدة لكسب القلوب : الهديَّة ، حتى ولو كان المدعو من الكفار ما دام ليس محاربًا ؛ قال تعالى : ﴿ لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾(٩٣).

وفي الصحيحين عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – قَالَتْ : قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ : وَهِيَ رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُ أُمِّي قَالَ : ((نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ))(٩٤).

وفي الصحيحين أيضًا من حديث ابْنَ عُمَرَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – يَقُولُ : رَأَى عُمَرُ حُلَّةً سِيَرَاءَ(٩٥) تُبَاعُ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ابْتَعْ هَذِهِ ، وَالْبَسْهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَإِذَا جَاءَكَ الْوُفُودُ ، قَالَ : ((إِنَّمَا يَلْبَسُ هَذِهِ مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ)) فَأُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْهَا بِحُلَلٍ ، فَأَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ بِحُلَّةٍ فَقَالَ : كَيْفَ أَلْبَسُهَا وَقَدْ قُلْتَ فِيهَا مَا قُلْتَ ؟! قَالَ : ((إِنِّي لَمْ أُعْطِكَهَا لِتَلْبَسَهَا ، وَلَكِنْ تَبِيعُهَا أَوْ تَكْسُوهَا)) فَأَرْسَلَ بِهَا عُمَرُ إِلَى أَخٍ لَهُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ(٩٦).

---

(٩١) رواه مسلم في الفضائل، باب في سخائه ﷺ (ح: ٢٣١٣).

(٩٢) المرجع السابق (ح: ٢٣١٢).

(٩٣) سورة الممتحنة : [٨].

(٩٤) رواه البخاري في الهبة وفضلها والتحريض عليها (ح: ٢٦٢٠). ومسلم في الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين، ولو كانوا مشركين (ح: ١٠٠٣) .

(٩٥) الحلة: واحدة الحُلَل، وهي برود اليمن، ولا تُسَمَّى حُلَّة إلا أن تكون ثوبَين من جنس واحد، وقال الخطابي: الحلة ثوبان: إزاء ورداء ولا تكون حلة إلا وهي جديدة تحل من طيها فتلبس.

والسيِرَاء: نَوْع من البُرُود يُخالِطه حَرير كالسُّيور. (انظر: النهاية لابن الأثير، ١/ ٤٣٢ مادة: (حلل)، ومادة: (سير) ٢/٤٣٣.

(٩٦) رواه البخاري في الهبة وفضلها والتحريض عليها (ح: ٢٦١٩). ومسلم في اللباس والزينة، باب تحريم لبس الحرير وغير ذلك للرجال (ح: ٢٠٦٨).

ولذا رغّب الإسلام بالتهادي، لأن لها تأثيرًا عجيبًا، فهي تذهبُ بالسَّمعِ والبصَرِ والقلبِ، وما يفعله النَّاس من تبادلِ الهدايا في المناسباتِ وغيرِها أمرٌ محمودٌ، بل ومندوبٌ إليه على أن لا يكلِّفَ نفسَه إلا وسعَها.قال ﷺ: ((تهادَوْا تحابُّوا))(٩٧). فالهدية تقرب المسافات، وتوطد العلاقات، وتقربك من قلب الْمُهْدَى إِلَيْهِ، وتوجِدُ الألفةَ والمحبةَ بين المهدي والمهدى إليه، ولذا كان – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – ((يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَيُثِيبُ عَلَيْهَا))(٩٨) أَيْ يُعْطِي الَّذِي يُهْدِي لَهُ بَدَلهَا، وَالْمُرَاد بِالثَّوَابِ الْمُجَازَاة، وَأَقَلّهُ مَا يُسَاوِي قِيمَةَ الْهَدِيَّة(٩٩).

١٠ – ومن أهداف الاستقامة الخلقية: السعي إلى استكمال فضائل النفس حسًّا ومعنًى، والتجمل بجمال الأخلاق والفضائل، فعن أَنَسٍ ﵁ قال: قال رسولُ الله ﷺ: ((عليكَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ، وَطُولِ الصَّمْتِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا تَجَمَّلَ الْخَلائقُ بمثلِهِمَا))(١٠٠).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﵁ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ))

قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: ((إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ))(١٠١).

وقد كان ﷺ من أطيب الناس، وأحرص الناس على النظافة، ولذا لما اقترح عليه عمر ﵁ أن يتجمل للوفود فلم ينكر عليه، بل أقره، وإنما أنكر عليه اقتراحه أن يلبس الحرير ولم ينكر عليه أصل التجمل، ففي الصحيحين عَنْ ابْنِ عُمَرَ – رضي الله عنهما– أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﵁ رَأَى حُلَّةً سِيَرَاءَ عِنْدَ بَابِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ اشْتَرَيْتَ هَذِهِ فَلَبِسْتَهَا لِلنَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلِلْوَفْدِ إِذَا قَدِمُوا عَلَيْكَ؟! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِنَّمَا يَلْبَسُ هَذِهِ مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ..))(١٠٢).

قال الحافظ: "فَالظَّاهِر أَنَّهُ إِنَّمَا أَنْكَرَ لُبْس الْحَرِير بِقَرِينَةِ قَوْله (إِنَّمَا يَلْبَس هَذِهِ) وَلَمْ يُنْكِر أَصْل التَّجَمُّل"(١٠٣).

---

(٩٧) رواه البخاري في الأدب المفرد، باب قبول الهدية (ح: ٥٩٤). وأبو يعلى (ح: ٦١٤٨). وابن عدي في (الكامل ١٠٤/٤). والبيهقي في (الكبرى، ١٦٩/٦)، وفي (الشعب، ح: ٨٥٦٨). من حديث أبي هريرة ﵁. وحسنه الحافظ في (التلخيص الحبير، ٨٠/٣). وفي (بلوغ المرام، ص: ٥٠٥). والألباني في (صحيح الجامع، ح: ٣٠٠٤).

(٩٨) رواه البخاري في الهبة وفضلها والتحريض عليها (ح: ٢٥٨٥).

(٩٩) فتح الباري لابن حجر (٢١٠/٥).

(١٠٠) رواه أبو يعلى في مسنده (٥٣/٦ح: ٥٤٣-٣٢٩٨). والبيهقي في شعب الإيمان (٢٤٢/٤ح٤٩٤١). والطبراني في الأوسط (ح: ٧١٠٣). وذكره الهيثمي في (المجمع، ٢٢/٨) وقال: "رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط ورجال أبي يعلى ثقات". وحسنه الألباني في صحيح الجامع (ح: ٤٠٤٨). وقال في "الصحيحة" بعد أن ذكر طرق الحديث: فالحديث..حسن على الأقل إن شاء الله (ح: ١٩٣٨).

(١٠١) رواه مسلم في الإيمان ، باب تحريم الكبر وبيانه (ح: ٩١).

(١٠٢) تقدم تخريجه في (ص: ٢١).

(١٠٣) فتح الباري لابن حجر (٥٠١/١٠).

ويقول عمرُ بن الخطَّاب ﷺ : "إنَّه ليعجبني الشابُّ الناسِكُ نظيفُ الثوبِ طيِّبُ الرِّيح"(١٠٤).

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : " إنِّي ما رأيتُ أحدًا أنظفَ ثوبًا ولا أشدَّ تعهُّدًا لنفسِه وشاربِهِ وشعرِ رأسِه وشعرِ بدنِه ، ولا أنقى ثوبًا وأشدَّه بياضًا من أحمد بن حنبل"(١٠٥).

وقد كان السلف يأخذون السمت الحسن من العلماء والصلحاء كما يأخذون العلم ، عن عبد الرحمن بن مهدي : " كنا نأتي الرجل ما نريد علمه ليس إلا أن نتعلم من هديه وسمته ودَلِّه"(١٠٦).

"وكان يجتمع في مجلس أحمد زهاء خمسة آلاف أو يزيدون ، نحو خمس مئة يكتبون ، والباقون يتعلمون منه حسن الأدب والسمت"(١٠٧).

وسئل فضيل بن عياض عن ترك الطيبات من الْحُوَّارى(١٠٨) واللحم والخبيص(١٠٩) للزهد وقال لمن قال لا آكل الخبيص : ليتك تأكل وتتقي! إن الله لا يكره أن تأكل الحلال الصرف ، كيف برك لوالديك وصلتك للرحم؟ كيف عطفك على الجار؟ كيف رحمتك للمسلمين؟ كيف كظمك للغيظ؟ كيف عفوك عمن ظلمك؟ كيف إحسانك إلى من أساء إليك؟ كيف صبرك واحتمالك للأذى؟ أنت إلى أحكام هذا أحوج منك إلى ترك الخبيص!"(١١٠).

وقال أيوب السختياني : " لا يَستوي العبد – أو لا يسود – حتى يكون فيه خصلتان : اليأس مِمَّا في أيدي الناس ، والتغافلُ عمّا يكون منهم "(١١١). وهاتان قاعدتان رائعتان لمن أراد السعادة النفسية والدرجات العلية دنيًا وأخرى.

إذًا فالنفس المستقيمة على الأخلاق الحسنة تفيض آدابًا ومشاعر وأحاسيس ، ويظهر ذلك على سلوك وتصرفات صاحبها ، من رفق وصدق..، وحلم وأناة.. وعفاف..، ونحوها مما يزيدها جمالاً ونضرة معنوية ، وقد كان ﷺ يحرص على توجيه أزواجه وأصحابه لاستكمال فضائل النفس وجمالها ؛ فعَنْ عَائِشَةَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا – زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ : دَخَلَ رَهْطٌ مِنْ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا : السَّامُ عَلَيْكُمْ ، قَالَتْ عَائِشَةُ : فَفَهِمْتُهَا

---

(١٠٤) رواه وكيع في الزهد (٣٤٤٨/٢). وابن الجوزي في مناقب عمر ﷺ (ص: ١٩٨).

(١٠٥) سير أعلام النبلاء (٢٠٨/١١).

(١٠٦) الآداب الشرعية لابن مفلح (١٤٥/٢).

(١٠٧) سير أعلام النبلاء للذهبي (٣١٦/١١).

(١٠٨) هو الدقيق الأبيض، وهو لباب الدقيق، وكل ما حور من طعام أي بيض. المعجم الوسيط (٢٠٦/١) مادة: حور.

(١٠٩) الخَبِيصُ : الحلواء المخبوصة من التَّمْرِ والسَّمْنِ. (انظر: القاموس المحيط، ٧٩٥/١، والمعجم الوسيط،٢١٦/١).

(١١٠) المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي (٣٨٤/١) .

(١١١) رواه أبو نعيم في (الحلية، ٥/٣). وذكره ابن رجب نحوه في جامع العلوم والحكم (٢٠٥/٢).

فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ)) فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟! قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((قَدْ قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ))⁽¹¹²⁾.

١١ – ومن أهداف الاستقامة الخلقية في الإسلام: حصول وتبادل الألفة والأنس بين الناس، ولا يمكن ذلك إلا بالتعامل معهم بالأخلاق الفاضلة والمعاملة الحسنة، وحبهم واحترامهم والرفق بهم والرحمة لهم، وتقديرهم والسماع لرأيهم، وإلانة الكلام معهم، وتحمل أذاهم، وإظهار البشاشة في وجوههم، كما قال تعالى في وصف نبيه محمد ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾⁽¹¹³⁾. فَأَحِبَّهُم ليحبوك، فالجزاء من جنس العمل، وكما تدين تدان، فالنفوس جبلت على حب أصحاب الأخلاق الحسنة، بل تتأثر به كثيرًا وتقبل عليه، فمكارم الأخلاق تُستعطفُ بها القلوبُ، وتُملك بها المهج والنفوس؛ فالقلوب لا تملك بالمال ولا بالقوة، ولا بالجاه والسلطان، وإنما تُملك بالإحسان وجمال الأخلاق والتعامل الراقي، وجميل العشرة، فالنبي ﷺ يقول: ((إِنَّكُم لَنْ تَسَعُوا النَّاسَ بِأَموالِكُم، وَلكن يَسَعهُم مِنكُم بَسطُ الوَجه وحُسنُ الخُلُق))⁽¹¹⁴⁾. وقال الشاعر:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ⁽¹¹⁵⁾

فالإنسان عامة في نظر الإسلام مخلوق مكرم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾⁽¹¹⁶⁾، ولذا لا توجد في الثقافة الإسلامية كراهية للإنسانية – خلا الشرك والكفر والفسق وأفعالهم السيئة –، وكيف يكون ذلك وقد جاء الإسلام رحمةً لهم، ولهدايتهم إلى سواء السبيل، ويعتبر الإسلام حتى غير المستجيبين لدعوته من أمته، أي أمة الدعوة، فكيف تدعو شخصًا إلى الهداية وأنت تُكِنُّ له العداوة الشخصية؟ ضدانِ لا يجتمعانِ!

ومثالُ ذلك: أن اليهود يبغضون الناس من غير اليهود لذاتهم؛ ولذا لا يدعونهم إلى دينهم، لأنهم يرون أنهم شعب الله المختار دون غيرهم!! وقد ورد في سيرته ﷺ نماذج مشرقة في هذا الباب، ففي الصحيحين عن عَبْد الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي لَيْلَى قَالَ: كَانَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ وَقَيْسُ بْنُ سَعْدٍ قَاعِدَيْنِ بِالْقَادِسِيَّةِ، فَمَرُّوا عَلَيْهِمَا بِجَنَازَةٍ فَقَامَا،

---

(١١٢) رواه البخاري –واللفظ له– في الأدب، باب الرفق في الأمر كله (ح: ٦٠٢٤). ومسلم في السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، وكيف يرد عليهم (ح: ٢١٦٥).

(١١٣) سورة آل عمران: [١٥٩].

(١١٤) تقدم تخريجه في (ص: ١٦).

(١١٥) البيت لأبي الفتح علي بن محمد البستي، من قصيدة نونية له عنوانها: (عنوان الحكم). (قصيدة عنوان الحكم للبستي، ص: ٣٦).

(١١٦) سورة الإسراء: [٧٠].

فَقِيلَ لَهُمَا: إِنَّهَا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ أَيْ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ. فَقَالَا: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّتْ بِهِ جِنَازَةٌ فَقَامَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا جِنَازَةُ يَهُودِيٍّ، فَقَالَ: ((أَلَيْسَتْ نَفْسًا))(١١٧).

وفي الصحيحين أيضًا عن عَائِشَةَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا – أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ فَقَالَ: ((لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ – عَزَّ وَجَلَّ – قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ؛ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، قَالَ: فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ، وَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الْأَخْشَبَيْنِ! فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا))(١١٨).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ قَالَ: ((كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ؛ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً؛ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ! فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ))(١١٩).

سبحان الله ألا نعجب! جلافة ورعونة وخشونة، فيقابلها ﷺ بالضحك، ويأمر له أيضًا بما يريد، هكذا يكون الحب للناس.. فمن يقدر على هذا ؟!

١٢ – ومن أهداف الاستقامة الخلقية في الإسلام: الحرص على حفظ الوقت، وحفظ النفس مما لا يليق بها، والترفع عن مجاراة السفهاء، وكل واحدة من هذه الثلاثة هدف بذاته وثمرة كبيرة فكيف إذا اجتمع كلها، فالانشغال بالرد على السفهاء والجاهلين ومجاراتهم ليس فقط من مساوئ الأخلاق، بل مضيعة للوقت والعمر وإضعاف للعزيمة وانشغال عن المقاصد العليا، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾(١٢٠). وقال جلَّ شأنه: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾(١٢١). وقال سبحانه: ﴿ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٌۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾(١٢٢). وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴾(١٢٣).

---

(١١٧) رواه البخاري في الجنائز، باب من قام لجنازة يهودي (ح: ١٣١٢). ومسلم في الجنائز، باب القيام للجنازة (ح: ٢٢٢٥).

(١١٨) رواه البخاري في بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (ح: ٣٢٣١). ومسلم في الجهاد، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين (ح: ١٧٩٥).

(١١٩) رواه البخاري في فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه (ح: ٣١٤٩). ومسلم في الزكاة، باب إعطاء المؤلفة ومن يخاف على إيمانه إن لم يعط، واحتمال من سأل بجفاء لجهله..(ح: ١٠٥٧).

(١٢٠) سورة القصص: [٥٥].

(١٢١) سورة الأعراف: [١٩٩].

(١٢٢) سورة الزخرف: [٨٩].

(١٢٣) سورة الفرقان: [٦٣].

فالمؤمن إذا سفه عليه الجاهل بالقول السيئ لم يقابله بمثله تخلقًا وترفعًا عن مجاراة السفيه، وإن كان من المشروع أن يدافع عن نفسه، كما قال تعالى ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴾(١٢٤)، وقوله : ﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾(١٢٥)، ولكن خيرٌ له أن يعفو ويصفح ولا يقول إلا خيرًا طلبًا لرضوان الله، فإذا خاطبك الجاهل، فحذار أن تكون مثله في الرد عليه فتسفه عليه كما سفه عليك، بل بكل أدب قُلْ {سلامًا} ؛ لتشعره بالفرق بينكما، وليعرف أن كل واحد ينفق مما عنده.

إذَا أنتَ جَارَيْتَ السَّفِيهَ كَمَا جَرَى فَأَنْتَ سَفِيهٌ مثلُهُ غَيْرُ ذِي حِلْمِ(١٢٦).

قيل: إن رجلاً خاصم الأحنف، وقال: لئن قلت واحدةً لتسمعن عشرًا!! فقال لكنك إن قلت عشرًا لم تسمع واحدةً !!(١٢٧).

إِذَا نَطَقَ السَّفِيهُ فَلَا تُجِبْهُ فَخَيْرٌ مِنْ إِجَابَتِهِ السُّكُوتُ
لئيمُ القومِ يشتمني فيحظى ولو دمَهُ سفكت لما حظيتُ
فلستُ مشاتمًا أبدًا لئيمًا خَزِيت لمن يشاتمني خَزيتُ(١٢٨)

سبَّ رجل ابن عباس – رضي الله عنهما – فلما قضى مقالته قال لخادمه: انظر هل للرجل حاجة فتقضيها له ؟ فنكس الرجل رأسه استحياء!!(١٢٩).

وشتم رجل مرة رجلاً فاضلاً من التابعين – هو ابن هبيرة – فأعرض عنه ابن هبيرة، فقال الشاتم: يا هذا إياك أعني، فقال ابن هبيرة: وعنك أعرض(١٣٠).

قال الشافعي – رحمه الله – :

إذا سبَّني نذلٌ تزايدتُ رفعةً وما العيبُ إلا أن أكونَ مسابِبه
ولو لم تكن نفسي عليّ عزيزةً لَمكَّنتها من كل نذل تحاربه(١٣١)

---

(١٢٤) سورة النحل : [١٢٦].
(١٢٥) سورة الشورى : [٤١].
(١٢٦) الحلم لابن أبي الدنيا (ص: ٦٤).
(١٢٧) سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/٩٣).
(١٢٨) الصمت لابن أبي الدنيا (ص: ٣٧١)، وعزاه لمؤمَّل بن أميل المحاربي الشاعر الكوفي .
(١٢٩) ذخائر العقبى لمحب الدين أحمد بن عبد الله الطبري (ص: ٢٣٤).
(١٣٠) أدب الدنيا والدين للماوردي (ص: ٢٦٢ – ٢٦٣).
(١٣١) ديوان الشافعي (ص: ٥٢).

وتأمل روعة عمر رضي الله عنه في هذا الموقف: عن ابن عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ، فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِنْ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ الْقُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا.

فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الْأَمِيرِ، فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ! قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاسْتَأْذَنَ الْحُرُّ لِعُيَيْنَةَ، فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: هِيْ(١٣٢) يَا ابْنَ الْخَطَّابِ! فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ! وَلَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ! فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾(١٣٣)، وَإِنَّ هَذَا مِنْ الْجَاهِلِينَ، وَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ "(١٣٤).

١٣- ومن أهداف الاستقامة الخلقية في الإسلام: مراعاة المروءة والذوق العام والحياء، وقدا قال ﷺ: ((الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ))(١٣٥).

وفي الصحيحين عن عليٍّ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ رَجُلًا مَذَّاءً؛ فَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَمَرْتُ الْمِقْدَادَ ابْنَ الْأَسْوَدِ فَسَأَلَهُ فَقَالَ: ((فِيهِ الْوُضُوءُ))(١٣٦).

وفي رواية للنسائي وغيره عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - قَالَ: ((تَذَاكَرَ عَلِيٌّ وَالْمِقْدَادُ وَعَمَّارٌ، فَقَالَ عَلِيٌّ: إِنِّي امْرُؤٌ مَذَّاءٌ، وَإِنِّي أَسْتَحِي أَنْ أَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِمَكَانِ ابْنَتِهِ مِنِّي، فَيَسْأَلُهُ أَحَدُكُمَا..))(١٣٧).

١٤ – ومن أهداف الاستقامة الخلقية في الإسلام: كسب أعدائك إلى صفك، وتحويل عداوتهم إلى محبة وولاء: كما قرر ذلك القرآن، فقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾(١٣٨).

---

(١٣٢) هِيْ: وَفِي رواية: "هِيْه" قَالَ الحافظ في (الفتح، ١٣/٢٥٩): "وَالَّذِي يَقْتَضِيه السِّيَاق أَنَّهُ أَرَادَ بِهَذِهِ الْكَلِمَة الزَّجْر وَطَلَب الْكَفّ ".

(١٣٣) سورة الأعراف: [١٩٩].

(١٣٤) رواه البخاري في تفسير سورة الأعراف، (ح: ٤٦٤٢).

(١٣٥) رواه البخاري في الأدب، باب الحياء (ح: ٦١١٧). ومسلم في الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، وفضيلة الحياء، وكونه من الإيمان (ح: ٣٧).

(١٣٦) رواه البخاري في الوضوء، باب من لم ير الوضوء إلا من المخرجين..(ح: ١٧٨). ومسلم في الحيض، باب المذي (ح: ٣٠٣).

(١٣٧) رواه النسائي في الغسل، باب الوضوء من المذي (ح: ٤٣٦). قال الألباني في صحيح النسائي (ح: ٤٢٢): "صحيح الإسناد".

(١٣٨) سورة فصلت: [٣٤ - ٣٦].

ذكر البخاري في الصحيح عن ابن عباس تعليقًا بصيغة الجزم قال: " ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾(١٣٩) الصَّبْرُ عِنْدَ الْغَضَبِ، وَالْعَفْوُ عِنْدَ الْإِسَاءَةِ، فَإِذَا فَعَلُوهُ عَصَمَهُمْ اللَّهُ، وَخَضَعَ لَهُمْ عَدُوُّهُمْ. كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ"(١٤٠).

وقد ذكر ابن كثير في تفسيره: الآيةَ السابقةَ وذكر معها قوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(١٤١).

وقوله تعالى: ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ﴾(١٤٢)، ثم قال:

" فهذه ثلاث آيات ليس لهن رابعة في معناها، وهو أن الله يأمر بمصانعة العدو الإنسي والإحسان إليه، ليرده عنه طبعُهُ الطَّيب الأصل إلى المودة والمصافاة، ويأمر بالاستعاذة به من العدو الشيطاني لا محالة؛ إذ لا يقبل مصانعة ولا إحسانًا ولا يبتغي غير هلاك ابن آدم، لشدة العداوة بينه وبين أبيه آدم من قبل؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾(١٤٣)"(١٤٤).

وكان من أخلاق النبي ﷺ الكريمة أنه لا يَجزي بالسيئةِ السيئةَ؛ بل يَجزيها بالحسنة؛ وكان هذه المعاملة الطيبة والخصلة الشريفة المباركة وراء إسلام الكثير من خصومه الذين قاتلوه وناصبوا له العداء سنين طويلة، حتى الذين قتلوا الخيرة من أصحابه وعمه سيد الشهداء ومثلوا بهم شملته هذه الخصلة المباركة، والرحمة المحمدية، قال الحافظ ابن حجر(١٤٥): عِنْد اِبْن إِسْحَاق بِإِسْنَادٍ حَسَن عَنْ صَفِيَّة بِنْت شَيْبَة قَالَتْ: " لَمَّا نَزَلَ رَسُول اللَّه ﷺ وَاطْمَأَنَّ النَّاس خَرَجَ حَتَّى جَاءَ الْبَيْت فَطَافَ بِهِ، فَلَمَّا قَضَى طَوَافه دَعَا عُثْمَان بْن طَلْحَة فَأَخَذَ مِنْهُ مِفْتَاح الْكَعْبَة فَفَتَحَ لَهُ فَدَخَلَهَا، ثُمَّ وَقَفَ عَلَى بَاب الْكَعْبَة فَخَطَبَ " قَالَ اِبْن إِسْحَاق: وَحَدَّثَنِي بَعْض أَهْل الْعِلْم أَنَّهُ ﷺ قَامَ عَلَى بَاب الْكَعْبَة فَذَكَرَ الْحَدِيث وَفِيهِ: ثُمَّ قَالَ: ((يَا مَعْشَر قُرَيْش! مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِل فِيكُمْ؟))

قَالُوا: خَيْرًا أَخ كَرِيم، وَابْن أَخ كَرِيم. قَالَ: ((اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاء))(١٤٦).

---

(١٣٩) سورة فصلت: [٣٤].

(١٤٠) صحيح البخاري (ص: ٨٥٠) تفسير سورة حم السجدة، ووصله الطبري بسند حسن في تفسيره (٤٧١/٢١). وانظر: (فتح الباري، ٥٦١/٨، وتغليق التعليق، ٤/ ٣٠٣).

(١٤١) سورة الأعراف: [١٩٩- ٢٠٠].

(١٤٢) سورة المؤمنون: [٩٦ – ٩٨] .

(١٤٣) سورة فاطر: [٦] .

(١٤٤) تفسير ابن كثير (١/١١٠) بتصرف .

(١٤٥) فتح الباري (١٩/٨).

(١٤٦) رواه ابن إسحاق (سيرة ابن هشام، ٣١٢/٤)، وعنه الطبري في تاريخه (١٢٠/٣). والبيهقي في (الكبرى، ١١٨/٩). وذكره ابن القيم في (زاد المعاد، ٤٠٧/٣–٤٠٨) وابن كثير في (البداية والنهاية، ٣٠٠/٤–٣٠١). قال الألباني في (الضعيفة، ح: ١١٦٣) في سند ابن إسحاق:

فعَنْ عطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ : لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – قُلْتُ : أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي التَّوْرَاةِ ؟ قَالَ : ((أَجَلْ ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ ، يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ، وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي ، سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا ، وَآذَانًا صُمًّا ، وَقُلُوبًا غُلْفًا))(١٤٧).

وعن أبي عَبْدِ اللَّهِ الْجَدَلِيَّ قال : سَأَلْتُ عَائِشَةَ – رضي الله عنها – عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ : ((لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا ، وَلَا صَخَّابًا فِي الْأَسْوَاقِ ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ))(١٤٨).

ويقول عمرو بن العاص رضي الله عنه محدثًا عن نفسه : ((لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنِّي ، وَلَا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ قَدْ اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ فَقَتَلْتُهُ !!)).

وبعد أن أسلمَ وعرفَهُ عن قربٍ ، انقلبَ الحالُ ، حيث يقول : ((وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلَا أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ ؛ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ))(١٤٩).

قال بعض العلماء : الناس رجلان ؛ فرجل محسن فخذ ما عفا لك من إحسانه ، ولا تكلفه فوق طاقته ، ولا ما يحرجه. وإما مسيء فمره بالمعروف ، فإن تمادى على ضلاله ، واستعصى عليك ، واستمر في جهله ، فأعرض عنه ، فلعل ذلك أن يرد كيده ، كما قال تعالى : ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾(١٥٠) ، فحُسن الكلام مع من أساء إليك وأظهر لك الخصومة والعداوة يُطفئ خصومته ، ويكسر حدته ، ويخف سَوْرته ، أو هو

="وهذا سند ضعيف مرسل، لأن شيخ ابن إسحاق فيه لم يسم، فهو مجهول. ثم هو ليس صحابيًّا، لأن ابن إسحاق لم يدرك أحدًا من الصحابة، بل يروي عن التابعين وأقرانه، فهو مرسل أو معضل".

وكلمة الطلقاء فقد وردت في الصحيحين، فعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ الْتَقَى هَوَازِنُ وَمَعَ النَّبِيِّ ﷺ عَشَرَةُ آلَاف وَالطُّلَقَاءُ فَأَدْبَرُوا قَالَ: ((يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ)) قَالُوا: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ لَبَّيْكَ نَحْنُ بَيْنَ يَدَيْكَ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: ((أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ)) فَانْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ، فَأَعْطَى الطُّلَقَاءَ وَالْمُهَاجِرِينَ...)) رواه البخاري في المغازي، باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان (ح: ٤٣٣٣). ومسلم في الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه (ح:١٠٥٩).

(١٤٧) رواه البخاري في البيع، باب كراهية السخب في السوق (ح: ٢١٢٥).

(١٤٨) رواه أحمد (١٧٤/٦ و٢٤٦) . والترمذي في البر والصلة، باب ما جاء في خلق النبي ﷺ (ح: ٢٠١٦). وقال:"حسن صحيح". ورواه ابن حبان (ح: ٦٤٤٣). والبيهقي في (الكبرى، ٤٥/٧). والبغوي في (شرح السنة، ح: ٣٦٦٨). والحاكم (٦١٤/٢). وصححه الألباني في صحيح الترمذي (ح: ١٦٤٠).

(١٤٩) رواه مسلم في الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج (ح: ١٢١).

(١٥٠) سورة المؤمنون : [٩٦] .

على الأقل يقف دون تطور الشر ، واستشراء لهيبه. ولذا أمرنا الله أن لا نجادل أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ، فقال سبحانه : ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾(١٥١) .

وهذه الخصلة المباركة خصلة الأنبياء والصالحين ، فيوسف – عليه السلام – قص الله علينا قصته في كتابه لكي يكون لنا أسوة وقدوة في مقابلة الإساءة بالحسنة ، حيث إنه – عليه السلام – قابل إساءة إخوته وكيدهم ومحاولة قتلهم إياه بالعفو الحسن والصفح الجميل ، كما قال تعالى حاكيًا عنه : ﴿ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾(١٥٢). بل أكثر من ذلك تأمل قوله كما حكى عنه القرآن ﴿ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ ﴾(١٥٣) ، فمن حسن خلقه وعظيم أدبه لم يشأ أن يتهم إخوته وحدهم بنزغ الشيطان لهم ، بل أشرك نفسه رغم براءته ، فالمقام مقام تفضل وإحسان ، وليس مقام مشاحنة واتهام.. وهذا لا يقدر عليه إلا الكبار كما قال تعالى : ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴾(١٥٤) .

١٥ – ومن أهداف الاستقامة الخلقية في الإسلام : الصحة النفسية وراحة البال والنفس ، وذهاب الغل والتشفي ، وهذه نتيجة طبعية لمن أظهر البشاشة في وجوه الناس ، فكانت الابتسامة والطلاقة ديدنًا له معهم ، ولذا جعل الإسلام ملاقاة الناس بوجه طلق والتبسم من المعروف ومن الصدقة فقال ﷺ : ((تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ))(١٥٥) .

وكانت الابتسامة لا تفارق محياه ﷺ حتى آخر لحظات حياته ، ففي الصحيحين عن أَنَس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ يُصَلِّي لَهُمْ فِي وَجَعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الِاثْنَيْنِ وَهُمْ صُفُوفٌ فِي الصَّلَاةِ كَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سِتْرَ الْحُجْرَةِ ، فَنَظَرَ إِلَيْنَا وَهُوَ قَائِمٌ كَأَنَّ وَجْهَهُ وَرَقَةُ مُصْحَفٍ ، ثُمَّ تَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ضَاحِكًا ، قَالَ : فَبُهِتْنَا وَنَحْنُ فِي الصَّلَاةِ مِنْ فَرَحٍ بِخُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَنَكَصَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَقِبَيْهِ لِيَصِلَ

---

(١٥١) سورة العنكبوت : [٤٦] .

(١٥٢) سورة يوسف : [٩٢] .

(١٥٣) سورة يوسف : [١٠٠] .

(١٥٤) سورة فصلت : [٣٥] .

(١٥٥) رواه الترمذي في البر والصلة، باب ما جاء في صنائع المعروف (ح: ١٩٥٦). وقال: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ" والبخاري في الأدب المفرد (ح:٨٩١). والبزار في مسنده كما في (موارد الظمآن، ح: ٨٦٤). وابن حبان (ح: ٥٢٩). وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح: ١٥٩٤).

الصَّفَّ، وَظَنَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَارِجٌ لِلصَّلَاةِ، فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ أَنْ أَتِمُّوا صَلَاتَكُمْ، قَالَ: ثُمَّ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَرْخَى السِّتْرَ، قَالَ: فَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ))(١٥٦).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ ﵁ قَالَ: " مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ"(١٥٧).

وهو ﷺ – بأبي وأمي – يرد على جفاء الأعراب وقسوتهم بضحك وابتسامة وعطاء كما جاء في الصحيحين عن عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ قَالَ: ((كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ! فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ))(١٥٨).

قال الحافظ ابن حجر: "فِي الْحَدِيث بَيَان حِلْمه ﷺ، وَصَبْره عَلَى الْأَذَى فِي النَّفْس وَالْمَال، وَالتَّجَاوُز عَلَى جَفَاء مَنْ يُرِيد تَأَلُّفه عَلَى الْإِسْلَام، وَلِيَتَأَسَّى بِهِ الْوُلَاة بَعْده فِي خُلُقه الْجَمِيل مِنْ الصَّفْح وَالْإِغْضَاء وَالدَّفْع بِالَّتِي هِيَ أَحْسَن"(١٥٩).

ويقول جرير﵁ : ((مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلَا رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي))(١٦٠).

ويقول النبيُّ ﷺ : ((لَا تَحْقِرَنَّ مِنْ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ))(١٦١).

إن قسمات الوجه خير معبر عن مشاعر صاحبه، فالوجه الصبوح ذو الابتسامة الطبيعية الصادقة، هو علامة على مدى الصحة النفسية والراحة التي يتمتع بها صاحبه، وهي خير وسيلة لكسب الأنس والسعادة النفسية، ومن ثم الإقبال على الأعمال والعطاء بهمة ونشاط.

الابتسامة كلمة جميلة أخاذة، جذابة مطربة... وهي الأمل المشرق في النفس تزيل الوحشة، ترسم السعادة، تحيي روح القلب..، فالابتسامة مع السلام والمصافحة أخلاق لها آثار عجيبة في راحة النفس وصفائها، وسعادتها،

---

(١٥٦) رواه البخاري في الأذان، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة (ح: ٦٨٠). ومسلم في الصلاة، باب استخلاف الإمام – إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما – من يصلي بالناس...(ح: ٤١٩).

(١٥٧) رواه أحمد (٤/١٩٠). والترمذي في المناقب، باب [قول ابن جزء...] (ح: ٣٦٤١)، وقال: "حسن غريب"، وفي الشمائل، باب ما جاء في ضحك رسول الله ﷺ. وابن المبارك في (الزهد،ح: ١٤٥). وقد صححه الألباني في مختصر الشمائل (ح:١٩٦) وقال معقبًا على الترمذي: "قلت: وحسنه في بعض النسخ، والأولى أن يقال: حديث صحيح؛ لأن رجاله ثقات كلهم إلا أنه يخشى من سوء حفظ ابن لهيعة، لكن قد رواه عنه عبد الله بن المبارك عند أبي الشيخ (٩٠)، وروايته عنه صحيحة كما هو معلوم..".

(١٥٨) تقدم تخريجه في (ص: ٢٥).

(١٥٩) فتح الباري (١٠/٥٠٦).

(١٦٠) رواه البخاري في الجهاد والسير، باب من لا يثبت على الخيل (ح: ٣٠٣٥). ومسلم في فضائل الصحابة، باب فضائل جرير بن عبد الله ﵁ (ح: ٢٤٧٥).

(١٦١) رواه مسلم في البر والصلة ، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء (ح: ٢٦٢٦).

وهذه الأمور عنوان للصحة النفسية التي أصبحت في عالم اليوم مطلبًا ملحًا لكل أحد، فالقلق والاكتئاب والانطواء أمراض العصر وطاعون هذا القرن، نسأل الله السلامة والعافية.

وللابتسامة فوائد جمة، فهي حركة بسيطة تحدث في ومضة عين، ولكن يبقى ذكرها دهرًا . ومن فوائدها أنها تحفظ للإنسان صحته النفسية والبدنية، وتساعد على تخفيف ضغط الدم، وتنشط الدورة الدموية، قال ابن القيم: إنّ التّبسّمَ يُوجِبُ انْبِساطَ دَمِ الْقَلْبِ وَثَوَرَانه؛ وَلِهَذَا تَظْهَرُ حُمْرَةُ الْوَجْهِ لِسُرْعَةِ ثَوَرَانِ الدّمِ فِيهِ فَيَنْشَأُ عَنْ ذَلِكَ السّرُورُ (١٦٢).

١٦- ومن أهداف الاستقامة الخلقية في الإسلام: تيسير أمورك وقضاء حوائجك، والذي قد يصل للكسب المادي، فقد يُرزق العبد بحسن خلقه، وقد يُزوج وينكح، ويُعزز ويُكرم، فقد جرت العادة أن الناس يتزوجون من عائلة خلوقة محترمة، ولا يزوجون من اشتهر بفسق وسوء خلق، وهذا من الأمور الواقعة المشاهدة المجربة؛ ألم يُزَوَّجْ موسى - عليه السلام - ويُكرَّم ويعزَّز بحسن خلقه وأمانته وعفته؟

قال المفسرون(١٦٣): لما جاءت إحدى الفتاتين إلى موسى - عليه السلام - وقد سترت وجهها بثوبها، طالبة أن يأتي إلى أبيها لكي يأخذ أجر عمله كما قال تعالى: ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾(١٦٤)، واستجاب موسى - عليه السلام - للدعوة لكن من حيائه ونبل أخلاقه لم يرض أن تمشي الفتاة أمامه - رغم أنها الدليل - فقال لها: "كوني من ورائي، فإذا اجتنبت الطريق فاحذفي (أي ارمي) بحصاة أعلم بها كيف الطريق لأتهدّى إليه"(١٦٥). وذلك لئلا يقع نظره عليها، وهذا قمة في الخلق، وكان هذا النبل والخلق سببًا لتزويجه، حيث أعجب الرجل الصالح وكذا ابنته بأخلاق موسى وأمانته وطهره وعفافه.. كما حكى الله قول الفتاة لأبيها: ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾(١٦٦)، وانتهى الأمر بتزويج موسى بابنة الرجل الصالح، كما حكى الله عنه في القرآن: ﴿ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ ﴾(١٦٧).

قال أبو عبد الله القرطبي المفسر في تفسيره: " فيه عرض الولي بنته على الرجل، وهذه سنة قائمة؛ عرض صالح مدين ابنته على صالح بني إسرائيل، وعرض عمر بن الخطاب ابنته حفصة على أبي بكر وعثمان، وعرضت

---

(١٦٢) انظر: زاد المعاد (٣/٥٧٥- ٥٧٦).

(١٦٣) يُنظر لتفسير الآية في: جامع البيان للطبري (١٩/٥٥٨). وتفسير القرطبي (١٣/٢٤٠ - ٢٤١). وتفسير ابن كثير (٦/٢٢٨) وغيرها من التفاسير.

(١٦٤) سورة القصص: [٢٥].

(١٦٥) تفسير ابن كثير (٦/٢٢٩).

(١٦٦) سورة القصص: [٢٦].

(١٦٧) سورة القصص: [٢٧].

الموهوبة نفسها على النبي ﷺ، فمن الحسن عرض الرجل وليته والمرأة نفسها على الرجل الصالح اقتداء بالسلف الصالح "(١٦٨).

وقد رُوي عن النبي ﷺ قوله : ((إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ))(١٦٩). لأن دينه يمنعه من إيذائها وإهانتها ، إن أحبها أكرمها ، وإن أبغضها لم يظلمها ، فالزواج هنا ثمرة لحسن الخلق كما أن كسب المال قد يكون ثمرةً لحسن الخلق أيضًا ، فدافع كسب المال وإن كان ليس دافعًا أصليًّا لصاحب الخلق إلا أن المسلم إذا جاءه مال دون سؤال وإشراف نفس فيأخذه ويتموله أو يتصدقه فيكسب أجر الصدقة ، ففي الصحيحين أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ السَّعْدِيِّ رضي الله عنه قَدِمَ عَلَى عُمَرَ رضي الله عنه فِي خِلَافَتِهِ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ رضي الله عنه : أَلَمْ أُحَدَّثْ أَنَّكَ تَلِي مِنْ أَعْمَالِ النَّاسِ أَعْمَالًا فَإِذَا أُعْطِيتَ الْعُمَالَةَ كَرِهْتَهَا ؟ فَقُلْتُ : بَلَى ، فَقَالَ عُمَرُ : فَمَا تُرِيدُ إِلَى ذَلِكَ ؟

قُلْتُ : إِنَّ لِي أَفْرَاسًا وَأَعْبُدًا وَأَنَا بِخَيْرٍ ، وَأُرِيدُ أَنْ تَكُونَ عُمَالَتِي صَدَقَةً عَلَى الْمُسْلِمِينَ .

قَالَ عُمَرَ رضي الله عنه : لَا تَفْعَلْ ؛ فَإِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الَّذِي أَرَدْتَ ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعْطِينِي الْعَطَاءَ فَأَقُولُ : أَعْطِهِ أَفْقَرَ إِلَيْهِ مِنِّي ، حَتَّى أَعْطَانِي مَرَّةً مَالًا فَقُلْتُ : أَعْطِهِ أَفْقَرَ إِلَيْهِ مِنِّي ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ((خُذْهُ فَتَمَوَّلْهُ ، وَتَصَدَّقْ بِهِ ، فَمَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ – وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلَا سَائِلٍ – فَخُذْهُ ، وَإِلَّا فَلَا تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ))(١٧٠).

قال إبراهيم بن محمد الزُّهري : "خرَّجتُ لأبي جائزتَه ؛ فأمرني أن أكتبَ خاصَّته وأهلَ بيته ، ففعلتُ ، فقال لي : تذكَّر هل بقي أحدٌ أغفلناه ؟ قلت : لا ، قال : بلى ، رجلٌ لقيني فسلَّم عليَّ سلامًا جميلاً صِفَتُهُ كذا وكذا ، اكتب له عَشَرةَ دنانير"(١٧١).

فقد أثَّر فيه السَّلامُ الجميلُ فأراد أن يردَّ عليه بهديةٍ مادية ويكافئه على ذلك .

---

(١٦٨) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/٢٤١).

(١٦٩) رواه ابن ماجه – واللفظ له – في النكاح، باب الأكفاء (ح: ١٩٦٧). والترمذي في النكاح، باب ما جاء فيمن ترضون دينه فزوجوه (ح: ١٠٨٤) من حديث أبي هريرة، وقال: "حَديثُ أَبِي هُرَيْرَةَ قَدْ خُولِفَ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ سُلَيْمَانَ فِي هَذَا الْحَدِيث، وَرَوَاهُ اللَّيْثُ ابْنُ سَعْدٍ عَنْ ابْنِ عَجْلَانَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ مُرْسَلًا، قَالَ أَبُو عِيسَى: قَالَ مُحَمَّدٌ [يعني البخاري]: وَحَدِيثُ اللَّيْثِ أَشْبَهُ وَلَمْ يَعُدَّ حَدِيثَ عَبْدِ الْحَمِيدِ مَحْفُوظًا".

ورواه الحاكم (٢/١٦٤–١٦٥)، وقال:"حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه". وتعقبه الذهبي بقوله: "عبد الحميد هو أخو فليح قال أبو داود: كان غير ثقة، ووثيمة لا يعرف". ورواه الخطيب في (تاريخه، ١١/٦٠). والحديث حسن لغيره عند الألباني كما في (الصحيحة، ح: ١٠٢٢). و(الإرواء، ٦/١٦٦).

(١٧٠) رواه البخاري في الأحكام، باب رزق الحكام والعاملين عليها (ح: ٧١٦٣). ومسلم في الزكاة، باب جواز الأخذ بغير سؤال ولا تطلع (ح: ١٠٤٥).

(١٧١) رواه ابن أبي الدنيا في (مكارم الأخلاق، ص: ١١٣). ووكيع في (أخبار القضاة، ١/٢١٥). والخطيب في (تاريخه، ٢/٣٥٠).

١٧ – ومن أهداف الاستقامة الخلقية في الإسلام: مداراة الناس واتقاء شرهم، فقد روى الشيخان من حديثِ عائشة – رضي الله عنها – أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا رَآهُ قَالَ: ((بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ، وَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ)) فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي وَجْهِهِ، وَانْبَسَطَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِي وَجْهِهِ، وَانْبَسَطْتَ إِلَيْهِ؟!

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((يَا عَائِشَةُ! مَتَى عَهِدْتِنِي فَحَّاشًا؟! إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ))(١٧٢).

لكن هناك فرق كبير بين المداراة والمداهنة: فالمداهنة محرمة وليست من صفات المؤمنين الصادقين، قال ابنُ حَجَر "وهذا الحديثُ أصلٌ في المداراة"(١٧٣). وقال القاضي عياض وأبو العباس القرطبيّ: "والفرقُ بين المداراةِ والمداهنةِ أنَّ المداراةَ بذلُ الدُّنيا لصلاحِ الدُّنيا، أو الدِّين، أو هُما معًا. وهي مباحةٌ وربَّما استُحبَّت، والمداهنةُ تركُ الدِّين لصلاح الدنيا"(١٧٤).

إذًا فالمداراةُ لينُ الكلامِ، والبشاشةِ للفسَّاق وأهلِ الفحشِ والبذاءةِ، أولاً اتقاءً لفحشهم، وثانيًا لعلَّ في مداراتهم كسبًا لهدايتهم، بشرط عَدَمِ المجاملة في الدين، وإنما في أمور الدنيا فقط، وإلا انتقلتَ من المداراةِ إلى المداهنةِ.

فهل يا ترى نحسِنُ فنّ المداراة؟ كالتلطُّف والاعتذار والبشاشةِ والثناءِ على الرجل بما هو فيه لمصلحةٍ شرعيَّة. وقد رُوِيَ عن النبي ﷺ قوله: ((مداراةُ النَّاسِ صَدَقَة))(١٧٥).

وقال ابن بطَّال: " المداراةُ من أخلاق المؤمنين، وهي خفضُ الجناح للنَّاس، وتركُ الإغلاظ لهم في القول، وذلك من أقوى أسباب الألفة "(١٧٦).

قال معاوية ﵁: " لو أن بيني بين الناس شعرة ما انقطعت، قيل: وكيف؟ قال: لأنهم إنْ مدُّوها خليتها، وإنْ خلّوا مددتها"(١٧٧).

---

(١٧٢) رواه البخاري –واللفظ له– في الأدب، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا (ح: ٦٠٣٢) ومسلم في البر والصلة، باب مداراة من يتقى فحشه (ح: ٢٥٩١).

(١٧٣) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٠/٤٥٤).

(١٧٤) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم للقاضي عياض (٨/٣٠). وفتح الباري لابن حجر (١٠/٤٥٤).

(١٧٥) أخرجه الطبراني في (الأوسط،ح: ٤٦٣). وابن حبان (ح: ٤٧١). وذكره الهيثمي في (المجمع، ٨/١٧) وقال: "وفيه يوسف بن محمد بن المنكدر، وهو متروك، وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به". وقال ابن حجر: أخرجه ابن عدي والطبراني في الأوسط وفي سنده يوسف بن محمد بن المنكدر ضعفوه.. وأخرجه ابن أبي عاصم في "آداب الحكماء "بسند أحسن منه.انظر: فتح الباري (١٠/٥٢٧) وضعفه الألباني في الضعيفة (ح: ٤٥٠٨).

(١٧٦) فتح الباري لابن حجر (١٠/٥٢٨).

(١٧٧) روضة العقلاء لابن حبان (ص: ٧٢).

١٨- ومن أهداف الاستقامة الخلقية في الإسلام: إرضاء الضمير، واستجابة الشعور بمراقبة الله ومعيته.

مصدر التحلي والالتزام بالأخلاق الفاضلة في القوانين الوضعية هو شعور الإنسان الداخلي بأنه سوي، وأن ضميره حي يحرسه من الانحراف، فهذا هو مصدر الإلزام في القوانين الوضعية؛ الضمير المجرد أو الإحساس بالواجب أو القوانين الملزمة. أما في الإسلام فهناك جانب آخر قوي يعزز هذا المعنى، بل هو أقوى في تحريك النفس وفي التأثير عليها، وهو ما يُسمى: بـ (الوازع الديني، أو مراقبة الله سبحانه)، فعندما يتحلى المسلم بالأخلاق إنما يتحلى بها بدافع شعوره بمعية الله له، وأنه ناظر إليه، وأنه لا يجعله أهون الناظرين إليه، قال تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾(١٧٨)، فالذي يغذي المسلم ويحرك ضميره وسلطان الرقابة الذاتية النابعة من قلبه هو: شعوره بمراقبة الله، وليس فقط الشعور بالمسؤولية.. أو الخوف من سلطان العقوبة وسياط الجلادين، فالأخلاق في الإسلام فيض من ينبوع الإيمان يشع نورها داخل النفس وخارجها، فالأخلاق ليست فضائل منفصلة، وإنما هي حلقات متصلة في سلسلة واحدة، لا يخرق المسلم إحداها إلا إذا أحدث خرقًا في إيمانه؛ ففي الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ((لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ))(١٧٩).

١٩ - ومن أهداف الاستقامة الخلقية في الإسلام: التواضع، واجتناب خوارم المروءة، ورفع الذكر وحسن الصيت بين الناس، وهذا مشاهد ومعروف أن الناس يحبون صاحب الخلق الحسن، ويجلونه ويثنون عليه، ويرفعون شأنه، ويذكرونه بالخير، خاصة الذي يعفو ويتغاضى عن الزلات ويتواضع، بل سيد القوم لا يكون إلا متغابيًا على حد قول أبي تمام:

لَيْسَ الغَبِيُّ بِسَيدٍ في قَوْمِهِ لكنَّ سيِّدَ قومِهِ الْمُتَغَابِي(١٨٠)

وصدق الرسول ﷺ حيث يقول: ((وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ))(١٨١).

إظهار الذل والتواضع وخفض الجناح للمسلمين مطلوب، ولكن لا نعني بالذل هنا: الهوان؛ فالهوان ليس من صفات المؤمنين، بل هو عقوبة ومهانة، قال تعالى في حق اليهود: ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو

---

(١٧٨) سورة يونس: [٦١].

(١٧٩) رواه البخاري في المظالم، باب النُّهْبى بغير إذن صاحبه (ح: ٢٤٧٥). ومسلم في الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية، على إرادة نفي كماله (ح: ٥٧).

(١٨٠) ديوان أبي تمام (ص: ٢٨).

(١٨١) رواه مسلم في البر والصلة، باب استحباب العفو والتواضع (ح: ٢٥٨٨).

بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾(١٨٢). والذل هنا بمعنى : التواضع ولين الجانب ، وهو من صفات المؤمنين ، وقد ورد بهذا المعنى في موضعين في القرآن ؛ قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(١٨٣) ، وقال سبحانه : ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾(١٨٤).

قال الراغب الأصبهاني : " الذل متى كان من جهة الإنسان نفسه لنفسه فمحمود ، نحو قوله تعالى : ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١٨٥). وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾(١٨٦) ، وفيما عدا ذلك يكون مذمومًا لأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين "(١٨٧).

فالذكر الحسن منة الله على خلقه ، ولذلك سأله أبو الأنبياء إبراهيم – عليه السلام – فقال : ﴿ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴾(١٨٨) ؛ وقد امتن الله على رسوله محمد ﷺ بأنه رفع ذكره فقال : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾(١٨٩).

فحمدُ الناسِ من غير تعرض له علامة من علامات القبول بإذن الله ، قال الله تعالى : ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾(١٩٠).

وفي صحيح مسلم من حديث أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ : قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنْ الْخَيْرِ وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ : ((تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ))(١٩١).

ولما مُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرًا ، قَالَ ﷺ : ((وَجَبَتْ ، وَجَبَتْ ، وَجَبَتْ)) ، فلما سئل ﷺ فقال : ((مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ، وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ))(١٩٢).

---

(١٨٢) سورة البقرة : [٦١].

(١٨٣) سورة المائدة : [٥٤].

(١٨٤) سورة الإسراء : [٢٤].

(١٨٥) سورة المائدة : [٥٤].

(١٨٦) سورة آل عمران : [١٢٣].

(١٨٧) (١٨٧) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصبهاني (ص: ٣٣٠).

(١٨٨) سورة الشعراء : [٨٤].

(١٨٩) سورة الشرح : [4].

(١٩٠) سورة يونس : [٦٤].

(١٩١) رواه مسلم في البر والصلة، باب إذا أُثني على الصالح فهي بشرى ولا تضره (ح: ٢٦٤٢).

(١٩٢) رواه البخاري في الجنائز، باب ثناء الناس على الميت (ح: ١٣٦٧). ومسلم –واللفظ له– في الجنائز، باب فيمن يثنى عليه خير أو شر من الموتى (ح: ٩٤٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

الخاتمة

النتائج

من أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث :

١ – الأهمية الكبيرة والمكانة العظيمة للأخلاق في الإسلام ، وأنها من صلب رسالة سيد البشر محمد ﷺ ، وأنها شاملة تسري في جميع مناحي الحياة.

٢ – أن القيم الخلقية في الإسلام تختلف في جوانب كثيرة عن القيم الخلقية في النظم الوضعية .

٣ – أن الاستقامة الخلقية في الإسلام تحقق أهدافًا كثيرة وكبيرة..، نبيلة وعظيمة..، ولو لم يكن من وراء الاستقامة الخلقية إلا هدف واحد من هذه الأهداف لكان كافيًا في أن يحرص المسلم على التحلي بها والاستقامة عليها ، فكيف لو تحققت هذه الأهداف كلها أو جلها ؟!

٤ – يمكن أن نحصر أبرز وأشهر أهداف الاستقامة الخلقية في الإسلام في النقاط التالية :

أ) الحرص على كسب رضا الله –عز وجل– ومحبته وجنته ، والنجاة من مقته وغضبه وعذابه .

ب) طلب مجاورة الحبيب محمد ﷺ يوم القيامة ، وكسب حبه ، والقرب منه.

ج) طلب الرقي والكمال في درجات الإيمان .

د) نشر الألفة والمودة بين المؤمنين بعضهم ببعض ، والحفاظ على تماسك المجتمع وتلاحمه.

هـ) استمالة قلوب الناس إلى الإسلام ، ودعوتهم إلى الخير ، وتحبيبهم بالدين وأهله.

و) الحرص على تغيير النظرة السلبية والمشوهة عن الإسلام وأهله ، إلى النظرة الصحيحة والإيجابية.

ز) الحرص على تأليف قلوب الكبار من رؤساء وأمراء ووجهاء.

ح) السعي إلى استكمال فضائل النفس حسًّا ومعنًى ، والتجمل بجمال الأخلاق والفضائل.

ط) تبادل الألفة والأنس بين الناس.

ي) الحرص على حفظ الوقت ، وحفظ النفس مما لا يليق بها ، والترفع عن مجاراة السفهاء.

ك) مراعاة المروءة والذوق العام والحياء.

ل) كسب الأعداء ، وتحويل عداوتهم إلى محبة وولاء .

م) الصحة النفسية وراحة البال والنفس ، وذهاب الغل والتشفي.

ن) تيسير الأمور وقضاء الحوائج .

س) مداراة الناس واتقاء شرهم.

ع) إرضاء الضمير، واستجابة الشعور بمراقبة الله ، والإحساس بالمسؤولية.

ف) الذكر الحسن والصيت وكسب الاحترام والتقدير .

التوصيات

١- ضرورة نشر هذه الأهداف وبيان ثمراتها ونتائجها ، وتفعيلها علميًّا وإعلاميًّا وبكافة الوسائل لتذكير الناس بها ، فالواقع بمسيس الحاجة لها ، ولعلها أن تُذكي في النفوس التحلي بالأخلاق الفاضلة ، طلبًا لأجرها وثوابها ، وطمعًا في منافعها ومكاسبها الدنيوية والأخروية ، فمجرد تفعيلها والتحلي بها فيه منافع ومصالح كثيرة للمجتمع وتقدمه وحضارته .

٢- تشجيع ودعم القادرين وأهل الاختصاص في التأليف والكتابة عن الأخلاق ولجميع الفئات من كبار وصغار ، وعامة ونخب ، وتنوع أساليب التأليف واللغة المكتوبة بها حسب المستهدفين ومستواهم الإدراكي ، فسلسلة مصورة للصغار ، وروايات مشوقة للمراهقين ، وكتب بلغة أدبية عالية للمثقفين ، .. وهكذا.

٣- تأسيس وافتتاح جمعيات ومؤسسات مدنية غير ربحية تُعنى بجانب الأخلاق وتعزيزها ، وإقامة البرامج والمناشط العامة لتعزيز القيم والأخلاق في المجتمع ، ولمقاومة حركة التغريب والانحلال جراء الانفتاح الإعلامي والتقني وآثارها السلبية .

٤- مفارقة عجيبة وغريبة !! فالكل يُجمع أن أزمة العالم اليوم : أزمة أخلاق ، ومع ذلك فالذين يتحركون لعلاج هذا المرض فئة قليلة ؟! فلا بد من تشجيعها ومؤازرتها بكافة الإمكانات وتهيئة السبل لها.

٥- السعي العملي الجاد بتعديل وتغيير النظرة السلبية والمشوهة عن الإسلام وأهله ، إلى النظرة الصحيحة والإيجابية ؛ وذلك بحث القائمين على الوسائل الإعلامية المرئية والمسموعة والمقروءة بتكثيف ودعم البرامج المناسبة لتحقيق هذا الهدف. وبعقد دورات تدريبية مكثفة في كيفية فن التعامل مع غير المسلمين خاصة للمبتعثين للخارج من دبلوماسيين وطلاب ونحوهم .

المصادر والمراجع (١٩٣)

[١] *الآداب الشرعية والمنح المرعية*، للإمام أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، (ت : ٧٦٣هـ)، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام، (١٤١٧هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت .

[٢] *أخبار القضاة*، لأَبِي بَكْرٍ مُحَمَّد بْن خَلَفِ بْنِ حَيَّانَ بْنِ صَدَقَةَ الضَّبِّيّ البَغْدَادِيّ، المُلَقَّب بِـ"وَكِيع" (ت : ٣٠٦هـ)، تحقيق وتعليق : عبد العزيز مصطفى المراغي، ط : ١، عام (١٣٦٦هـ)، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة.

[٣] *الإخوان*، لعبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان أبو بكر، المشهور بابن أبي الدنيا (ت : ٢٨١)، ط : ١، (١٤٠٩هـ)، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية — بيروت .

[٤] *أدب الدنيا والدين*، لأبي الحسن علي بن محمد البصري الماوردي، تحقيق : محمد كريم راجح، ط : ٢، (١٤٠٣هـ)، بدار اقرأ، ببيروت .

[٥] *الأدب المفرد*، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (١٩٤-٢٥٦هـ)، تخريج : محمد فؤاد عبد الباقي، ط : ٣، (١٤٠٩هـ)، دار البشائر الإسلامية، بيروت .

[٦] *إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل*، محمد ناصر الدين الألباني، ط : ١ (١٣٩٩هـ)، بإشراف محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت .

[٧] *أسد الغابة في معرفة الصحابة*، لعز الدين أبي الحسن علي بن محمد الجزري (٥٥٥- ٦٣٠)، دار الفكر، (١٤٠٩هـ)، بيروت.

[٨] *الإصابة في تمييز الصحابة*، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣- ٨٥٢ هـ) وبهامشه : الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر القرطبي (ت : ٤٦٣ هـ) ط : ١، (١٣٢٨ هـ)، مطبعة السعادة، مصر، دار صادر .

[٩] *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*، لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، إشراف : بكر بن عبد الله أبو زيد، ط : ١، (١٤٢٦هـ). دار عالم الفوائد، مكة المكرمة .

[١٠] *إكمال المعلم شرح صحيح مسلم*، للقاضي أبي الفضل عياض اليحصبي (ت : ٥٤٤ هـ) .

[١١] *تاج العروس من جواهر القاموس*، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبي الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق : مجموعة من المحققين، دار الهداية .

[١٢] *التاريخ الإسلامي*، محمود شاكر، ط : ٢، (١٤٠٧هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت .

---

(١٩٣) رُتِّب هذا الفهرس حسب الحروف الهجائية دون اعتبار (أل) التعريف المصدَّر بها اسم الكتاب.

[١٣] *تاريخ بغداد أو مدينة السلام*، للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، (٣٩٢ – ٤٦٣هـ)، ط: دار الكتاب العربي ، بيروت .

[١٤] *تاريخ الأمم والرسل والملوك*، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ط: ١ ، (١٤٠٧هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت.

[١٥] *تغليق التعليق على صحيح البخاري*، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، درسة وتحقيق: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، ط: ١، (١٤٠٥هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت .

[١٦] *الترغيب والترهيب من الحديث الشريف*، لعبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت: ٦٥٦هـ) إشراف: د. محمد الصباح دار مكتبة الحياة (١٤٠٧هـ)، بيروت .

[١٧] *تفسير القرآن العظيم*، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٠٠ – ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط: ٢ ، (١٤٢٠هـ)، دار طيبة للنشر والتوزيع . المدينة المنورة .

[١٨] *تقريب التهذيب* ، للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣– ٨٥٢ هـ)، تحقيق: أبي الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني، تقديم: بكر بن عبد الله أبو زيد، ط: ١ ، (١٤١٦هـ)، دار العاصمة، الرياض .

[١٩] *التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد*، للحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري الأندلسي (٣٦٨– ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري، ط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، (١٣٨٧هـ) .

[٢٠] *تهذيب التهذيب* ، للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣ – ٨٥٢ هـ)، ط: ١ ، دائرة المعارف النظامية، الهند (١٣٢٥ هـ) .

[٢١] *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، ط: ١ ، مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان .

[٢٢] *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري، (٢٢٤ – ٣١٠ هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط: ١ ، (١٤٢٠هـ)، مؤسسة الرسالة. بيروت .

[٢٣] *جامع الترمذي*، محمد بن عيسى الترمذي، (٢٠٠– ٢٧٩هـ)، ط: ٢ ، (١٤٢١هـ)، دار السلام للنشر والتوزيع ، الرياض.

[٢٤] *جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم*، للحافظ زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي الدمشقي الشهير بابن رجب (٧٣٦– ٧٩٥)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس، ط: ٢ ، (١٤١٢هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت .

[٢٥] *الجامع لأحكام القرآن* ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي (ت: ٦٧١)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط: ٤ ، (١٤٢٢هـ)، دار الكتاب العربي ، بيروت، لبنان .

[٢٦] *الجامع لشعب الإيمان* ، للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، (٣٨٤-٤٥٨هـ)، تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد، ط: ١ ، (١٤٠٧هـ)، الدار السلفية، بومباي، الهند .

[٢٧] *الحلم*، لعبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان أبو بكر، المشهور بابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١)، ط: ١ ، (١٤١٣هـ)، تحقيق : محمد عبد القادر أحمد عطا، مؤسسة الكتب الثقافية — بيروت .

[٢٨] *حلية الأولياء وطبقات الأصفياء* ، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .

[٢٩] *دلائل النبوة*، للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (٣٨٤-٤٥٨هـ)، توثيق وتعليق: د. عبد المعطي قلعجي، ط: ١ ، (١٤٠٥ هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت .

[٣٠] *ديوان الشافعي*، للإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: محمد عفيف الزغبي، حمص، دار المعرفة. وجدة، دار العلم (١٩٧٤م).

[٣١] *ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى*، لمحب الدين أحمد بن عبد الله الطبري (ت : ٦٩٤هـ)، مطبعة القدسي، (١٣٥٦هـ)، القاهرة.

[٣٢] *روضة العقلاء ونزهة الفضلاء* ، لمحمد بن حبان البستي أبي حاتم، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، (١٣٩٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت .

[٣٣] *رياض الصالحين*، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة، ط: ٣، (١٤١٨هـ)، بيروت ، لبنان .

[٣٤] *زاد المعاد في هدي خير العباد*، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، الشهير بابن قيم الجوزية، (٦٩١- ٧٥١)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، ط: ٨، (١٤٠٥هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت .

[٣٥] *الزهد*، للإمام عبد الله بن المبارك المروزي (ت: ١٨١هـ) تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.

[٣٦] *الزهد*، للإمام هناد بن السري الكوفي، (١٥٢-٢٤٣هـ)، تحقيق وتخريج: عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي، ط: ١ ، (١٤٠٦هـ)، بدار الخلفاء للكتاب الإسلامي، بالكويت .

[٣٧] *الزهد،* لوكيع بن الجراح، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي (١٤٠٦هـ)، الكويت.

[٣٨] *سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد*، لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت: ٩٤٢)، تحقيق: إبراهيم الترزي، وعبد الكريم العزباوي، من مطبوعات لجنة إحياء التراث الإسلامي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف، جمهورية مصر العربية.

[٣٩] *سلسلة الأحاديث الصحيحة،* لمحمد ناصر الدين الألباني، (١٣٣٣- ١٤٢٠هـ)، ط: ٤ (١٤٠٥هـ) المكتب الإسلامي.

[٤٠] *سلسلة الأحاديث الضعيفة،* لمحمد ناصر الدين الألباني، (١٣٣٣- ١٤٢٠هـ)، ط: ٤ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.

[٤١] *سنن أبي داود،* لسليمان بن الأشعث السجستاني (٢٠٢-٢٧٥هـ) ط: ٢، (١٤٢١هـ) دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض .

[٤٢] *السنن الكبرى،* لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، (٣٨٤ - ٤٥٨هـ)، وفي ذيله الجوهر النقي لابن التركماني، علاء الدين بن علي بن عثمان المارديني(ت: ٧٤٥هـ)، دار المعرفة ، بيروت .

[٤٣] *سنن الدارمي،* لعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي السمرقندي (١٨١ — ٢٥٥ هـ) تحقيق: فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العليمي، ط: ١ (١٤٠٧ هـ) دار الكتاب العربي ، بيروت .

[٤٤] *سير أعلام النبلاء،* لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، (ت: ٧٤٨هـ)، ط: ٩، (١٤١٣هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت .

[٤٥] *السيرة النبوية،* للإمام عبد الملك بن هشام الذهلي السدوسي، (ت: ٢١٨هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي مؤسسة علوم القرآن .

[٤٦] *شرح السنة،* للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (٤٣٦-٥١٦هـ) تحقيق: زهير الشاويش وشعيب الأرنؤوط، ط: ٢، (١٤٠٣هـ)، المكتب الإسلامي .

[٤٧] *الشوقيات،* لأحمد شوقي، بتقديم الدكتور محمد حسين هيكل (١٩٨٨)، دار العودة، بيروت .

[٤٨] *صحيح الأدب المفرد للبخاري،* للمحدث محمد ناصر الدين الألباني، (١٣٣٣- ١٤٢٠هـ) ط: ١، (١٤١٤هـ)، دار الصديق، المملكة العربية السعودية .

[٤٩] *صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان*، لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ط: ٢، (١٤١٤هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت .

[٥٠] *صحيح البخاري*، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، (١٩٤-٢٥٦هـ)، ط: ٢، (١٤٢١هـ)، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض .

[٥١] *صحيح الجامع الصغير وزيادته*، للمحدث محمد ناصر الدين الألباني، ط: ٢، (١٤٠٦هـ)، المكتب الإسلامي .

[٥٢] *صحيح سنن أبي داود*، للمحدث محمد ناصر الدين الألباني، (١٣٣٣- ١٤٢٠هـ) ط: ١، (١٤٠٩هـ)، مكتب التربية العربي لدول الخليج.

[٥٣] *صحيح سنن الترمذي*، للمحدث محمد ناصر الدين الألباني، (١٣٣- ١٤٢٠هـ)، ط: ١، (١٤٠٩هـ)، مكتب التربية العربي لدول الخليج.

[٥٤] *صحيح مسلم*، للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (٢٠٤-٢٦١هـ)، ط: ٢، (١٤٢١هـ)، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض .

[٥٥] *الصمت*، لعبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان أبو بكر، المشهور بابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١)، ط: ١، (١٤١٣هـ)، تحقيق : محمد عبد القادر أحمد عطا، مؤسسة الكتب الثقافية — بيروت .

[٥٦] *ضعيف الجامع الصغير وزيادته*، لمحمد ناصر الدين الألباني، (١٣٣٣- ١٤٢٠هـ)، ط: المكتب الإسلامي ببيروت.

[٥٧] *الطبقات الكبرى*، للإمام محمد بن سعد (ت: ٢٣٠ أو ٢٣٥هـ)، دار بيروت للطباعة والنشر، (١٤٠٠هـ) ، بيروت.

[٥٨] *العلل الواردة في الأحاديث النبوية*، للحافظ أبي الحسين علي بن عمر الدارقطني (٣٠٦ — ٣٨٥) تحقيق وتخريج: د. محفوظ الرحمن السلفي، ط: ١، (١٤٠٩هـ)، دار طيبة، الرياض .

[٥٩] *فتح الباري بشرح صحيح البخاري*، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني(٧٧٣- ٨٥٢هـ) دار المعرفة، بيروت، لبنان.

[٦٠] *فيض القدير شرح الجامع الصغير*، لمحمد عبد الرؤوف المناوي (٩٥٢ — ١٠٣١)، دار المعرفة، بيروت.

[٦١] *القاموس المحيط*، مجد الدين أبو الطاهر، محمّد بن يعقوب بن محمّد الشيرازي الفيروز أبادي. (٧٢٩ — ٨١٧)، دار الجيل، بيروت.

[٦٢] *قصيدة عنوان الحكم*، لعلي بن محمد بن الحسين البستي أبي الفتح، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة، ط: ١، (١٤٠٤هـ)، مكتب المطبوعات الإسلامية — حلب .

[٦٣] *قضاء الحوائج*، للحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن أبي الدنيا، ت: ٢٨١هـ، ط: مؤسسة الكتب الثقافية، ضمن موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا.

[٦٤] *الكامل في ضعفاء الرجال*، لأبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني، (٢٧٧- ٣٦٥ هـ) ط: ٣، (١٤٠٩هـ)، دار الفكر، بيروت.

[٦٥] *كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة*، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (٧٣٥-٨٠٧هـ) تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط: ٢، (١٤٠٤هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

[٦٦] *كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال*، لعلاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي (ت: ٩٧٥ هـ)، بعناية: بكري حياني وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة (١٤٠٩هـ).

[٦٧] *مجمع الزوائد ومنبع الفوائد*، لنور الدين علي بن أبو بكر الهيثمي، (ت: ٨٠٧هـ) ط: ٣، (١٤٠٢هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

[٦٨] *مختصر الشمائل المحمدية للترمذي*، لمحمد ناصر الدين الألباني، (١٣٣- ١٤٢٠هـ)، ط: ٤، (١٤١٣هـ)، مكتبة المعارف، الرياض.

[٦٩] *مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين*، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (٦٧١-٧٥١ هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط: دار الكتاب العربي، بيروت.

[٧٠] *المستدرك على الصحيحين*، للحاكم أبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، (ت: ٤٠٥هـ)، وبذيله: التلخيص للحافظ الذهبي، بإشراف: د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

[٧١] *المستطرف في كل فن مستظرف*، لشهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م، تحقيق: د.مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية — بيروت.

[٧٢] *مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ)*، دار الفكر العربي، بيروت.

[٧٣] *مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ)*، تحقيق جماعة من المحققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، ط: ١، (١٤١٦هـ)، وقدم له الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي. مؤسسة الرسالة، بيروت.

[٧٤] *مسند أبي يعلى الموصلي*، لأحمد بن علي بن المثنى التميمي، (٢١٠-٣٠٧هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، ط: ١، (١٤٠٤هـ) دار المأمون للتراث، دمشق.

[٧٥] *مسند الشهاب*، لمحمد بن سلامة بن جعفر أبي عبد الله القضاعي، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط: ٢، (١٤٠٧هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

[٧٦] *المعجم الأوسط* ، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، (٢٦٠-٣٦٠هـ) ، تحقيق وتخريج : طارق بن عوض الله بن محمد ، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، (١٤١٥هـ) ، دار الحرمين ، القاهرة.

[٧٧] *المعجم الصغير*، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، (٢٦٠-٣٦٠هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت (١٤٠٣هـ) .

[٧٨] معجم *السفر*، لأبي طاهر أحمد بن محمد السلفي ، تحقيق : عبد الله عمر البارودي ، المكتبة التجارية ، مكة المكرمة .

[٧٩] *المعجم الكبير*، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠-٣٦٠هـ) ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي .

[٨٠] *المعجم الوسيط* ، قام بإخراجه مجموعة من العلماء : إبراهيم مصطفى ، أحمد حسن الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد علي النجار ، ط : ١٢ ، (١٣٩٢هـ) ، المكتبة الإسلامية ، استانبول ، تركيا .

[٨١] *المغازي*، محمد بن عمر بن واقد (الواقدي) (ت : ٢٠٧هـ) تحقيق : د. مارسدن جونس ، ط :٣ ، (١٤٠٤هـ) عالم الكتب ، بيروت .

[٨٢] *المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار*، للعلامة زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت: ٨٠٦هـ) ، مطبوع في هامش إحياء علوم الدين للغزلي ، ط : ١ ، (١٤٠٦هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

[٨٣] *مفردات ألفاظ القرآن* ، للراغب الأصفهاني ، ت : ٤٢٥هـ ، تحقيق : صفوان عدنان داودي ، ط : دار القلم ، دمشق.

[٨٤] *المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة* ، لشمس الدين السخاوي ، تحقيق : محمد عثمان الخشت ، دار الكتاب العربي ، ط : ، (١٤٠٥هـ) ، بيروت .

[٨٥] مكارم *الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها* ، لأبي بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي. تحقيق : سعاد سليمان الخندقاوي ، مصر ، مطبعة المدني (١٩٩١م).

[٨٦] *مناقب عمر بد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت : ٥٩٧هـ)* ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

[٨٧] *المنتخب من مسند عبد بن حميد*، لعبد بن حميد بن نصر أبو محمد الكسي ، تحقيق : صبحي البدري السامرائي ، ومحمود محمد خليل الصعيدي ، ط : ١ ، (١٤٠٨هـ) مكتبة السنة ، القاهرة

[٨٨] *موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان* ، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، (٧٣٥-٨٠٧هـ) تحقيق : محمد عبد الرزاق حمزة ، ط : دار الكتب العلمية.

[٨٩] *الموطأ* ، للإمام مالك بن أنس ، بتصحيح وترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية .

[٩٠] *النهاية في غريب الحديث والأثر* ، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (الشهير بابن الأثير) ، (٥٤٤- ٦٠٦هـ) تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ، ومحمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية ، بيروت .

The Objectives of Ethical Probity in Islam

Ibrahim bin Abdullah Ad-Duwayyish
Assistant professor in the College of Science and Arts, Qassim University
Saudi Arabia – Al-Qassim – Al-Rass – p.o.Box 1034

(Received 3/4/1430H.; accepted for publication 28/11/1430H.)

Abstract. All wise people agree that ethics are the foundation and the soul of life . and unless we hold on moral principles and maintain them life's establishment will not be erected . and if we want a radical and successful solution to all the sequenced crises which our world witnesses , related to different causes,

We have to treat the diseases in the moral principles .

The world's crisis is mainly ethical . but when we look at the efforts done in this side , we find them very limited and don't match the level of these problems .

Therefore we consider this research as a simple contribution in this case . and to explain the aims of ethical commitment in Islam which are taken from the teachings of Quran and the prophets instructions , that have much more advantages than ethical commitment in the systems made by people .

We must spread these aims and pointing out its benefits . also activating it scientifically and in the media and by all means to remind people with them , hoping it will encourage to hold on the best morals either desiring gods reward or to benefit from its advantages in life.

Just activating and being characterized with ethical commitment has a lot of benefits to our society , its progress and its civilization .